نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

الإصدارات الإلكترونية

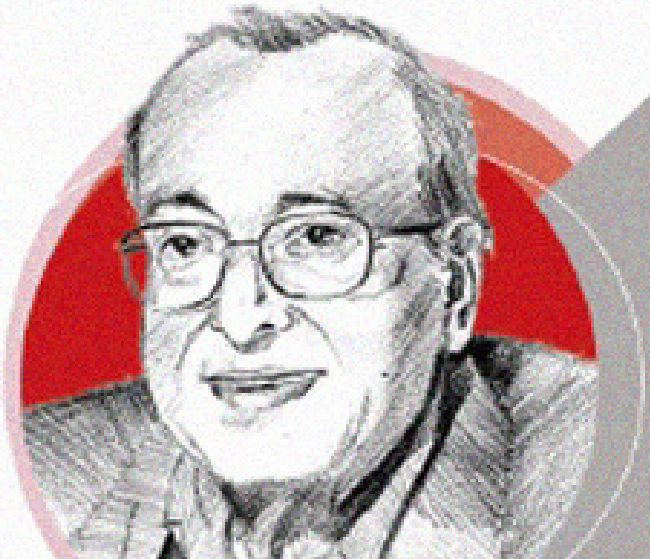

عبد الوهاب المسيري والصهيونية كظاهرة إمبريالية

عماد الدين عشماوي

دراسات فكرية (٢٢)

دراسات فكرية (٢٢)

عبد الوهاب المسيري والصهيونية كظاهرة إمبريالية

عماد الدين عشماوي

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

نماء للبحوث والدراسات
Namaa for Research and Studies

نماء للبحوث والدراسات
بيروت – لبنان
info@nama-center.com
القاهرة – مصر
هاتف - واتس: 00201115533255
الرباط – المغرب
هاتف – فاكس: 00212808564831
موبايل: 00212688953384

لطلبات الشراء البريدية: متجر نماء
www.nama-store.com
nama-store@nama-center.com
هاتف: 00201101509898
واتس: 00201098489815

متجر نماء
Namaa Store

الفهرسة أثناء النشر، إعداد نماء للبحوث والدراسات

عشماوي / عماد الدين

عبد الوهاب المسيري والصهيونية كظاهرة إمبريالية

المؤلف: عماد الدين عشماوي

84ص، (دراسات فكرية؛ 22)

14.5×21.5 سم

رقم الإيداع: 3824/2021

(e-book) ISBN: 978-977-85834-0-3

١. الصهيونية ٢. التاريخ أ. عشماوي، عماد الدين
ب. العنوان ج. السلسلة 933

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر نماء»

حقوق الطبع والنشر محفوظة لنماء
© الطبعة الأولى، القاهرة / لبنان، 2021م

الفهرس

عبد الوهاب المسيري والصهيونية كظاهرة إمبريالية ٥

المبحث الأول: الصهيونية في فكر المسيري من المتن إلى الهامش ٦

المبحث الثاني: تطور رؤية المسيري للصهيونية ١٧

المبحث الثالث: الجديد الذي قدمه المسيري في دراسة الصهيونية ٣٠

المبحث الرابع: معالم على طريق حل المسألة الفلسطينية ٦٦

خاتمة ٨٢

عبد الوهاب المسيري والصهيونية كظاهرة إمبريالية

يمكن القول إن زرع المسيري الفكري قد اكتمل في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، وكانت مرحلة حب الحصيد في مسيرته الفكرية، فتبلورت رؤيته لليهودية والصهيونية وكيفية مواجهتها، ورؤيته للعلمانية والحلولية، ونقده الشامل للحضارة الغربية، ورؤاه الإسلامية الجديدة، ونقده لما بعد الحداثة وتبدياتها في عالمنا وفي مجتمعاتنا العربية المسلمة، وسعيه لبناء نموذج معرفي يخرج من رحم المنظومة الإسلامية يمهد لمشروع حضاري عربي إسلامي إنساني ينتج حداثة جديدة مبرأة من عيوب وشرور حداثة الغرب المادية الاستغلالية الملحدة.

تتناول هذه الدراسة أهم ثمار المسيري وأشملها، والممتثلة في رؤيته لليهود واليهود والصهيونية وكيف بدأت بذورها ونمت جذورها وطابت ثمارها، وتبلور منهجه في دراستها، وكيفية التعامل مع الدولة الصهيونية التابعة للغرب الإمبريالي ورؤيته لمستقبلها في جذورها وصلتها بالحضارة الغربية وإمبرياليتها الغازية لعالمنا العربي، وما الجديد الذي قدمه في هذا المجال كجزء أصيل في مقومات مشروعنا الحضاري المستقل، حتى أصبحت من أهم ما كتب عن الصهيونية في عالمنا العربي في النصف الثاني من القرن العشرين وحتى يومنا هذا. وذلك من خلال أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول: الصهيونية في فكر المسيري من المتن إلى الهامش

المبحث الثاني: تطور رؤية المسيري للصهيونية

المبحث الثالث: الجديد الذي قدمه المسيري في دراسة الصهيونية

المبحث الرابع: حل المسألة الفلسطينية من منظور المسيري

المبحث الأول
الصهيونية في فكر المسيري من المتن إلى الهامش

١. المسيري الشاب والصهيونية

في عام ١٩٦٣م، خرج المسيري من مصر للدراسة في أمريكا، يؤمن بإنسانية مادية تقدس العدل وتدافع عن المظلومين وتدعو لتحالف عمال العالم ومضطهديه ضد أغنيائه ورأسمالييه لتحقيق دولة العدالة الاجتماعية التي بشر بها ماركس والماركسيون من بعده. وكانت قضية فلسطين جزءاً من هذا التصور والنموذج الفكري، ولذلك لم تمثل الدولة الصهيونية المحتلة لفلسطين إشكالية فكرية أو سياسية بالنسبة له حسب مرجعيته الماركسية الطبقية تلك[١]، **لأنه كان واقعاً تحت تأثير عدة عوامل، هي:**

أولاً: الرؤية الماركسية للقضية الفلسطينية آنذاك، وهي أن الإشكالية طبقية وأن حلها يكمن في تعاون الطبقة العاملة اليهودية مع الطبقة العاملة الفلسطينية، ويثور الطرفان ضد الرجعية العربية واليهودية. فقد كان اعتراض المسيري على إسرائيل أخلاقياً بحسبانها الدولة التي طردت الفلسطينيين، وبحسبانها دولة رأسمالية مستغلة، وليس اعتراضاً سياسياً ومبدئياً بحسبانها الدولة التي اغتصبت أرض الفلسطينيين وطردتهم

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م، ص٤٧٤.

من ديارهم، لتحل محلهم كتلة بشرية وافدة، ولتؤسس جيباً استيطانياً إحلالياً[1] يشكل قاعدة للمصالح الغربية.

ثانياً: الرؤية الإعلامية العربية الاختزالية للقضية الفلسطينية التي كانت تذهب إلى أن الفلسطينيين أساساً شعب من اللاجئين وأن قضيتهم قضية إنسانية غير سياسية، كما كان يتم الإشارة إلى إسرائيل باعتبارها (إسرائيل المزعومة) تقطنها عصابات صهيونية ويمكن للقوات العربية القضاء عليها في أي لحظة تقرر فيها ذلك.

ثالثاً: ادعاء إسرائيل في ذلك الوقت أنها لا تمانع في عودة عدد من اللاجئين الفلسطينيين على أن تستوعب البلاد العربية بقيتهم، وحل القضية برمتها حلاً إنسانياً فهي قضية إنسانية وليست قضية سياسية.

لذلك كانت استجابته المنطقية لهذا الموقف، هو أنه إذا كانت إسرائيل مزعومة حقاً: فلماذا نعطل التاريخ العربي من أجل شيء مزعوم؟ ولا سيما أن القضية قضية لاجئين فلسطينيين، لكن سرعان ما تغيرت تلك النظرة خلال عام واحد من إقامته في الولايات المتحدة[2].

٢. الصهيونية من الهامش إلى المتن

بعد عام كامل قضاه في الولايات المتحدة، بدأت نظرة المسيري لليهود واليهودية والصهيونية وفلسطين تتغير، فقد اكتشف أن الصورة مغايرة تماماً وبدأ يتعرف على الصهيونية لا من منظور توراتي يهودي وإنما من منظور عالمي كجزء من التشكيل الحضاري الغربي وتاريخ الأفكار في الغرب.

فقد أتاح وجود المسيري في الولايات المتحدة -مركز النموذج الإمبريالي الغربي وراعية

---

(١) يقصد المسيري بـ«**الجيب الاستيطاني الإحلالي**» أن الاستعمار الصهيوني لفلسطين **جاء ليستغل الأرض** دون سكانها ويحل محلهم. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٨، ص٤٥.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م، ص٤٧٤.

الصهيونية الجديدة بعد بريطانيا-، قراءة وإدراك خطورة أبعاد الهجمة الصهيونية على عالمنا العربي. فقد حيره التأييد الغربي الأعمى للدولة الإسرائيلية، وحاول كثيراً أن يهمشه من تفكيره عن طريق تصنيفه بحسبانه مجرد استثناء من القاعدة العامة أو باعتباره (انحرافاً) عن المسار الإنساني الديموقراطي الرئيسي. لكن هذا التأييد الغربي للدولة الصهيونية وتقبل الأساطير الصهيونية كان من الشمول والقوة والاتساع بحيث كان من المستحيل تفسيره على هذا الأساس. وبدأ المسيري يرى تأييد الغرب لإسرائيل جزءاً من نمط أكبر، وهو الإيمان الكامل بشريعة القوة والغاب والإمبريالية والعنصرية لا شريعة العقل والعدالة[١]، وهو الأمر الذي دفعه إلى التخلي عن دراسته للأدب الإنجليزي لينتقل إلى دراسة الصهيونية والتخصص فيها[٢].

فقد أدرك المسيري أن إعجاب العقل الغربي بالصهاينة هو بسبب بطشهم وقوتهم ومقدرتهم على حل كل الأمور لا عن طريق العقل والمناقشة وإنما بطريقة جراحية باترة مباشرة. كما أن هذا العقل رأى الصهيونية جزءاً من التشكيل الحضاري الغربي، ولذا فهو يعطيها حقوقاً مطلقة ينكرها على الآخرين. فالصهيونية تعبر عن شيء أصيل وجوهري داخل التشكيل الحضاري الغربي الحديث؛ الذي يتباهى بتسامحه وعمليته، ولكنه يؤيد في الوقت نفسه بلداً يستند إلى مجموعة من الأساطير العرقية البدائية الوثنية.

كما أدرك أن الغرب -في واقع الأمر وفي التحليل الأخير-، يطلب منا أن نعترف بإسرائيل لا بسبب الإبادة النازية[٣]، ولا بسبب ما تعرض له اليهود من المظالم، وإنما

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٣.

(٢) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية.** بيروت: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ٥١.

(٣) يستخدم مصطلح «**الإبادة**» في العصر الحديث ليدل على محاولة القضاء على أقلية أو شعب قضاء كاملاً. ويطلق مصطلح «الإبادة النازية (extermination lf the Jews)» للإشارة إلى محاولة النازيين الألمان التخلص أساسًا من أعضاء الجماعات اليهودية في ألمانيا وفي البلاد الأوروبية (التي وقعت في دائرة نفوذ الألمان) عن طريق تصفيتهم جسديًّا من خلال أفران الغاز خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية.** ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣٩٥.

بسبب موازين القوى التي لا تعرف الله أو الإنسان ولا تعترف بهما، فالمعيار الوحيد هو القوة لا العقل[١]. وأن القضية لها أبعاد استراتيجية، وأن مصر هي الدولة المستهدفة ومن ورائها عالمها العربي، وأن الصهيونية جزء من المخطط الاستعماري لتقسيم العالم العربي والهيمنة عليه. وأن الدولة الصهيونية ليست مجرد أداة عسكرية واقتصادية وسياسية في يد العالم الغربي، وإنما هي جزء من الرؤية الغربية الإمبريالية للعالم[٢].

ولهذا كله، لم يسقط المسيري في فخ الرؤية الاختزالية الكاذبة للمسألة الصهيونية باعتبارها مسألة التراث اليهودي-المسيحي، وتعاطف الغرب مع اليهود ورغبته في تعويضهم عما نالهم من أذى في الغرب بإعطائهم فلسطين، فقد أدرك أن كل هذه المقولات مجرد ديباجات وتبريرات لا تصلح لتفسير مثل هذه الظاهرة واتساعها وشمولها، خاصة أن الغرب لا يشغل باله بمسائل أخلاقية أخرى مثل: (الحق العربي)، و(حق العودة بالنسبة للفلسطينيين)، فهي بالنسبة له مسائل لا معنى لها، فالحق ليس فوق القوة، بل إن داروين ونيتشه فوق الجميع[٣]. وبدأ يحس بخطورة الغزوة الصهيونية؛ بحسبانها تعبيراً أخيراً وحاداً عن الغزوة الحضارية والعسكرية الغربية، ومن ثم نما إيمانه بضرورة التصدي لها عربياً وإنسانياً[٤].

ومن خلال الدرس المعرفي للصهيونية؛ الذي كرس عمره له فيما بعد، اكتشف أن قضية اللاجئين الفلسطينيين ليست قضية إنسانية وإنما قضية سياسية استراتيجية لها أبعاد إنسانية: قضية شعب طرد من أرضه وحلت محله كتلة بشرية قادمة من الغرب، وأن

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٨٣.

(٣) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٢٣-٢٢٤

(٤) المصدر نفسه، ص٤٨٥

هذا النمط ينتمي إلى النمط الاستعماري الاستيطاني الإحلالي في العالم، وأن الدولة الصهيونية دولة وظيفية عبارة عن قاعدة سكانية عسكرية أقيمت في منطقة ذات أهمية استراتيجية بالنسبة للغرب لتخدم مصالحه، بما في ذلك الحفاظ على وضع التجزئة في العالم العربي[١].

وليعود إلى مصر وهو يحمل في عقله هذا الإدراك لوثنية الصهيونية وبدائيتها وواحديتها الهستيرية وانتمائها إلى التقاليد الحضارية الغربية الإمبريالية، ومن ثم ضرورة مقاومتها.

٣. التخصص في الصهيونية ومقاومتها بالفكر والعمل

بدأ المسيري منذ عام ١٩٦٤م في الدراسة الجادة للصهيونية، وبدأ بالتزامن مع تلك الدراسة نشاطه العملي ضدها في الولايات المتحدة. فكتب مذكرة لطرق أكثر تركيبية للحركة ضد العدو الصهيوني قدمها للسفير المصري في الولايات المتحدة، ونوه بضرورة التواصل مع جماعات اليسار الجديد المعادية للصهيونية وإسرائيل[٢]. وشرع في كتابة أول كتيب عنها (بالإنجليزية) عام ١٩٦٥م، كتبه في يوم واحد وصدر في عام ١٩٦٦م، وهو بعنوان (إسرائيل قاعدة للاستعمار الغربي)، وقد كان كتيباً معلوماتياً لا يتعامل إلا مع المستوى السياسي للقضية؛ ومع هذا كان عملاً طليعياً، لأن المكتبة الإنجليزية لم تكن تحوي أي كتب تتعامل مع الظاهرة الصهيونية من منظور يساري ومن منظور العالم الثالث[٣].

كما انغمس حتى نهاية بعثته الدراسية في أواخر الستينيات في إلقاء المحاضرات

---

(١) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. بيروت: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ٢٢

(٢)المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**، مصدر سابق، ص ٤٨٦-٤٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٨٧-٤٨٨.

عن الصهيونية، وأسس المنبر الاشتراكي، مع مجموعة من زملائه اليساريين في جامعة رتجرز في عام ١٩٦٧م، حيث ألقى أول محاضراته فيه بعنوان (اشتراكي عربي يتحدث عن الصراع العربي الإسرائيلي)، التي أحدثت دوياً كبيراً في الجامعة في ذلك الوقت[١].

وكانت رسالته للدكتوراه؛ التي تزامن بدأ كتابتها يوم ٩ من يونيو عام ١٩٦٧م بعد الهزيمة العربية من إسرائيل بيومين وهو مدرك لحجم الكارثة التي حاقت بالعرب، هي المجال الذي طور فيه النماذج التحليلية التي استخدمها في دراسة الظواهر الصهيونية واليهودية فيما بعد، وقد قرر في تلك اللحظة ضرورة سرعة الانتهاء من دراسته حتى يعود ليسهم بعلمه في إعادة بناء الوطن الجريح[٢].

وقد تطورت الأطروحة السياسية بعد ذلك وبدأت في التشابك مع الموضوعات الفكرية بشكل تدريجي، فبدأ يقرأ المراجع الأساسية للصهيونية، وصارت استجابته لفهم الصهيونية استجابة معرفية لا سياسية تحاول الوصول إلى الكلي والنهائي للصهيونية (طبيعة الإدراك - الموقف من التاريخ)، فلم يعد يتعامل مع الأفكار والحقائق وإنما مع الفكر والحقيقة. وبدأت تدور في ذهنه أسئلة عن الصهيونية، وهي أسئلة مختلفة عما كان مطروحاً بخصوص الصهيونية آنذاك في العقل الأوروبي وفي عالمنا العربي[٣]. وليطور مع نهاية الستينيات، دراسة لبنية الفكر الصهيوني من خلال أطروحة نهاية التاريخ، لها بعد معرفي وفلسفي واستراتيجي، كرؤية أولية عن الصهيونية كجزء من التشكيل الغربي الإمبريالي، وضرورة مواجهته معرفياً[٤].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م، ص٤٩٩-٥٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٨٧-٤٨٨.

(٤) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. بيروت: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٢٤.

٤. عوامل أسهمت في تعميق فهم المسيري للصهيونية

أسهمت العديد من العناصر في أن تعمق فهم المسيري للصهيونية، ومن أهمها[١]:

١. موقفه من الصهيونية الذي يبتعد عن الموضوعية المتلقية ويستخدم النماذج التحليلية، وهو لا يستند إلى قوالب اختزالية جاهزة وإنما إلى تحليل مفصل لبنية الكيان الصهيوني، وهي بنية تتجاوز النيات الحسنة والسيئة[٢].

٢. الدراسات الأدبية التي عمقت من فهمه للصهيونية، فقد استفاد من مناهج التحليل الأدبي في محاولته تفكيك وإعادة تركيب الظواهر اليهودية والصهيونية والإسرائيلية.

٣. ساعدته قراءة أعمال الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي في أوائل السبعينيات، الذي كان أسلوب معالجته للموضوعات مختلفاً تماماً عما كان قد ألفه من دراسات في هذا المجال. وكذلك أعمال كثير من المفكرين العرب المتخصصين في اليهودية والصهيونية[٣]، على تعميق فهمه للصهيونية واليهودية؛ فقد كان لكتاباتهم أعمق الأثر في توسيع نطاق رؤيته وتعميقها وتجاوز النموذج المعلوماتي القديم، والانتقال من السياسي إلى المعرفي، ومن الاهتمام بالأحداث السياسية المباشرة إلى الاهتمام بالثوابت المعرفية والاستراتيجية[٤].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**، مصدر سابق، ص ٤٨٦.

(٢) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري**، مصدر سابق، ج٤، ص٥٣.

(٣) مثل: الأستاذ حبيب قهوجي، والدكتورة بديعة أمين، والدكتور أسعد رزوق، والدكتور أنيس صايغ.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص٤٨٨-٤٩٠ بتصرف.

٤. كما كان تعرفه على الشعر الفلسطيني، وخصوصاً أشعار محمود درويش؛ الذي أصبح بالنسبة له الإنسانية جمعاء، جعل النضال الفلسطيني يمثل بالنسبة له رمز الإنسان في عالم واقعي مادي لا يعرف إلا التكيف الرشيد[١].

٥. الصهيونية: من السياسي إلى المعرفي

عندما بدأ المسيري في كتابة كتابه (نهاية التاريخ) عام ١٩٧٠م، أحس بأزمة التعامل مع المصطلحات والمفاهيم الصهيونية. فقد اكتشف أن حقل الدراسات المعني باليهود واليهودية والصهيونية وإسرائيل ومصطلحاته مشبع بالمفاهيم الأولية (القبلية)[٢]. وبدأت تختمر في ذهنه في هذه المرحلة، فكرة كتابة موسوعة متكاملة عن اليهود واليهودية والصهيونية، التي سرعان ما تحولت من مشروع لكتابة موسوعة معلوماتية تعرف بالمصطلحات والأعلام إلى مشروع موسوعة تفكيكية شاملة، تحاول تفكيك المصطلحات وتهدف إلى توضيح المفاهيم والتحيزات الكامنة وراءها بدلاً من تلخيصها والعرض لها[٣]. وكان قد كتب في هذه الفترة، عدة مقالات عن نظرية الأمن الإسرائيلي، تميزت في تعاملها مع الظاهرة الصهيونية، بتناول البنية والنمط الأساسي الكامن في التعامل معها دون التفاصيل اليومية المتغيرة[٤].

وقد انتهى من تلك الموسوعة عام ١٩٧٥م، ثم غادر مصر عائداً إلى الولايات المتحدة مرة ثانية ليقضي فيها أربع سنوات حتى نهاية عام ١٩٧٩م عمل خلالها مستشاراً ثقافياً للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم، حيث تزايدت معرفته

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٨٥-٤٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣١- ٥٤٠ بتصرف.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٠١.

باليهودية واليهود والصهيونية[١] وتزايد الاشتباك بينه وبين الصهاينة من خلال معاركه معهم، ومن خلال قراءاته الجديدة والمتعمقة في الصهيونية، التي أظهرت له جميعها (الخبرات والقراءات) ضرورة أن تتغير منهجية العمل في الموسوعة، لتنتقل من التفكيك إلى التأسيس[٢].

٦. الصراع العربي الإسرائيلي في العالم العربي قبل كتابة الموسوعة

حينما بدأ المسيري في كتابة الموسوعة، كان هناك دراسات كثيرة عن الصراع العربي الإسرائيلي كثير منها يدور داخل الإطار التأمري الذي يؤكد خصوصية اليهود وفرادتهم ويتهمهم بأنهم وراء كل شرور العالم، والبعض الآخر يدور داخل إطار فكر عام يصف نفسه بالعلمية، يركز على الجوانب العامة للظاهرة الصهيونية، وكان هناك قدر من التأرجح الشديد بين العام والخاص دون محاولة للجمع بينهما مما ينتج عنه نوع من الاختزال يفرز مقولات ليس لها مقدرة تفسيرية مثل: (إن اليهود إن هم إلا جزء من مؤامرة مستمرة ضد البشر)، أو (إن إسرائيل إن هي إلا قاعدة للاستعمار الغربي)[٣]. ولهذا بدأت تختمر في ذهنه في هذه المرحلة فكرة كتابة موسوعة متكاملة عن اليهود واليهودية والصهيونية.

ومع الوقت واكتساب الخبرة والتعمق في القراءات في الصهيونية، بدأ المسيري يدرك الطبيعة التفكيكية لموسوعة ١٩٧٥م، وأن التفكيك غير التأسيس؛ لأنه يترك كثيراً من جوانب الظاهرة دون تفسير، أما التأسيس فهو عملية إبداعية تركيبية تتجاوز التفكيك وتتطلب نحت نماذج مختلفة والربط بينها كما تتطلب الغوص في كل الأبعاد السياسية والاقتصادية والدينية والمعرفية للظاهرة وإعادة ترتيب الوقائع وتصنيفها في ضوء النماذج

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٠٢.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص٥٠٤.

(٣) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. بيروت: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٢٢-٢٣.

التحليلية الجديدة، ومن ثم بدأت رحلة التفكير في موسوعة جديدة تأسيسية تطرح نماذج تحليلية مترابطة، ومصطلحات بديلة وبرنامجاً بحثياً جديداً في الموضوعات اليهودية والصهيونية والإسرائيلية[١]. فواصل جهوده وسارع بعملية تحديث موسوعة ١٩٧٥م؛ بمجهوداته الخاصة، معتقداً أن مسألة التحديث هذه ستستغرق عاماً أو عامين على الأكثر[٢]، وخلال تلك الفترة، صدر له عام ١٩٨٠-١٩٨١ كتاب من جزأين بعنوان: الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، يعبر عن رؤيته في الصهيونية حتى تلك اللحظة وبالذات فيما يختص بالمنهج[٣].

وعندما عاد إلى مصر، ومن خلال لقاءاته مع الكثيرين من المهتمين بالمشروع الحضاري المستقل ومن المهتمين برؤيته للصهيونية قرر التعاون مع مجموعة منهم عام ١٩٨٢م لجعل الموسوعة عمل جماعي، وبدأ العمل على أن تنتهي الموسوعة في غضون بضعة أعوام.

ثم غادر بعدها القاهرة إلى الرياض، بعد تعيين مدير للموسوعة، وتكليف كل متعاون معه بكتابة المدخل الخاص به، لكنه اكتشف أن غالبية المداخل التي كتبت تنحو منحى معلوماتياً وموضوعياً متلقياً يكتفي بالرصد داخل إطار النماذج التفسيرية القائمة للصهيونية التي يرفضها المسيري، كما أن المتميز من المداخل كان ينحو منحى تفكيكياً يظهر نقط الضعف في النموذج التفسيري المهيمن دون أن يطرح أي بديل، لكن إدراكه لذلك كله لم يكن متبلوراً تماماً فمضى في كتابة الموسوعة، بل وطباعة ما تصور أنه النسخة الأخيرة منها عام ١٩٨٥م[٤].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**، مصدر سابق، ص٥٣١-٥٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٥١٣.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص٥٣٩.

يتبين مما سبق، أن هناك تحولات كبيرة رافقت رحلة المسيري الفكرية والملية في رؤيته للصهيونية، تأثرت بنضوجه الفكري المستمر وانفتاحه الدائم على مختلف صادر المعرفة فيما يخص الصهيونية. فلم تقف عقيدته الماركسية ورؤيتها الأممية الصراعية باعتبار صراعنا مع اليهود الصهاينة صراع طبقي، حجر عثرة في رؤيته لحقيقة الغزوة الصهيونية المدعومة غربياً لعالمنا العربي واغتصاب فلسطين، ولم تغره ما نادت به الحداثة الغربية من قيم عقلانية ودفاع عن حقوق الإنسان في حين أن الواقع يكذب هذا كله، فقد أثبت الواقع العملي له من خلال معايشته للعقل الغربي في الولايات المتحدة الأمريكية أن منطلقات الماركسية لحل الصراع وادعاءات الحداثة لحمل قيم التنوير لكل البشر مجرد أقوال كاذبة تخفي في طيها مصالح أمم غالبة تريد أن تسرق أرضنا ومقدراتنا وتحتلنا وتوقف تقدمنا. وعندما أدرك ذلك كله وظف كل أدوات بحثه التي اكتسبها من دراسته للأدب وقراءة أعمال المتخصصين في الصهيونية، وكان الدرس المعرفي سبيله الواضح للتخلص من الرؤى الاختزالية للصراع العربي الإسلامي مع الكيان الصهيوني الغاصب. كما يتبين لنا أيضاً، أن فكرة المثقف المنتمي لدى المسيري لم تكن مجرد كلمات تقال أو انحيازات فكرية لا تجد لها سبيلاً للتطبيق العملي على أرض الواقع، لا، ولكن المسيري عندما أدرك الصورة الحقيقية للصراع مع الكيان الصهيوني وخطورة الصهيونية على العرب والمسلمين والعالم، بدأ يطبق ما آمن به عملياً فمارس نشاطًا عمليًّا واسعًا ضدها بل وحاول أن يتخصص في الصهيونية تاركًا مجال تخصصه الأصلي في الأدب الإنجليزي لولا أن ذلك كان صعباً وقتها. وعلى الرغم من ذلك أخذ المسيري في التعمق في الصهيونية معتمدًا على نفسه ليجهز أدواته المعرفية لمعركة طويلة مع الصهيونية أخذت زهرة شبابه وما تبقى من عمره، وخلال تلك المعركة الفكرية الطويلة مع الصهيونية تطورت رؤيته للصهيونية من النقد إلى التفكيك إلى التأسيس الذي ظهر جلياً في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية كما سيبين المبحث التالي.

المبحث الثاني
تطور رؤية المسيري للصهيونية

١. تحولات منهج المسيري في دراسة الصهيونية

يُعد عاما ١٩٨٤و١٩٨٥م، من أهم أعوام التحول في حياة المسيري على مستوى المنهج والتناول لأعماله الفكرية ورؤيته الكونية ومرجعيته النهائية. فقد كان عام ١٩٨٤م، هو عام ذبح الذئب الهيجلي المعلوماتي في رحلته الفكرية، والكف عن الحلم بكتابة عمل موسوعي يجمع بين الجهد النظري الفائق والحشد المعلوماتي الكبير، فقد قرر في هذا العام أن يكف عن ذلك ويتفرغ تماماً للكتابة في حقل الصهيونية وحسب[١].

وبالمثل، فقد حدث في عام ١٩٨٥م شيء مهم جداً في حياته الفكرية، وهو أن همومه الفكرية الأساسية (الصهيونية كاستعمار استيطاني وكأيديولوجية لأعضاء الجماعات اليهودية - الهيجلية والحلولية ونهاية التاريخ - الاستهلاكية ومصير الإنسان - التحيزات المعرفية والحاجة لمشروع حضاري مستقل - الحاجة إلى استخدام النماذج كأدوات تحليلية)، التي كانت مترابطة بشكل ما، تلاحمت تماماً وأدرك العلاقات فيما بينها، الأمر الذي كان يعني ضرورة البدء من جديد في دراسة الصهيونية. كما تحول

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر**. القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٧٥.

الإسلام لديه خلال تلك الفترة، من كونه مجرد عقيدة يؤمن بها إلى رؤية للكون يمكن للإنسان أن يولد منها نماذج تحليلية ذات مقدرة تفسيرية عالية، ويعطي إجابات عن الأسئلة النهائية (المرجعية)[١].

وليس هذا وحسب، بل أدرك المسيري من خلال مصادر وقراءات جديدة أن الغالبية الساحقة من يهود العالم الغربي مع نهاية القرن الثامن عشر كانوا يوجدون ببولندا ثم اقتسمتهم روسيا وألمانيا والنمسا باقتسام بولندا ذاتها، ومن صفوفهم خرجت الآلاف والملايين التي هاجرت إلى إنجلترا وأستراليا وكندا والولايات المتحدة وجنوب إفريقيا ثم فلسطين[٢]. ونظراً لأهمية تلك المعلومات التفسيرية (فهي معلومات معروفة ولكنها مهمشة تماماً)، فقد وجد أن الغالبية الساحقة من يهود العالم الغربي في نهاية القرن الثامن عشر كانوا يوجدون في بولندا، ومن ثم فإن تاريخ بولندا وتاريخ الجماعة اليهودية فيها مرتبطان، فلا يمكن فهم المسألة اليهودية إلا بعد الإحاطة بهذا التاريخ إحاطة كاملة، كما اكتشف أيضاً الدور المتزايد الذي أدّته القبالاه اللوريانية[٣] في تقويض دعائم التلمود حتى حلت كتب القبالاه محله.

من خلال هذا كله، أدرك المسيري أنه ترك مرحلة التفكيك بصورة تلقائية وانتقل إلى مرحلة التركيب في تحليله وتفسيره لليهود واليهودية والصهيونية، وأنه لم يعد

(١) المصدر نفسه، ص٥٤٢.

(٢) شبار، سعيد. «المسيري: قضايا التجديد والاجتهاد في الفكر العربي والإسلامي المعاصر»، **مجلة المسلم العاصر**، العدد (١٢٩) يوليو – أغسطس - سبتمبر ٢٠٠٨م، ص ١٧٤.

(٣) القبالاه اللوريانية، عرف التراث الصوفي اليهودي باسم القبالاه. والقبالاه، هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود. وتنقسم القبالاه إلى تيارين أساسين: تيار الزوهار، والزوهار كلمة عبرية تعني الإشراق أو الضياء وكتاب الزوهار من أهم كتب التراث القبالي. والقبالاه اللوريانية، نسبة إلى إسحق لوريا، هي أهم تطور في داخل تاريخ القبالاه، وهي لا تختلف في أساسياتها عن قبالاه الزوهار، لكن هناك بعض الاختلافات بينهم فيما يتعلق بتفسير بداية الكون وأسطورة الخلق. انظر. المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٥، ص ١٦٣-١٨٦.

يفكك وحسب وإنما بدأ يطرح أسئلة وإشكاليات ومصطلحات ونماذج ومقولات تحليلية جديدة كان من شأنها تركيب تصور جديد لتاريخ اليهودية ولأعضاء الجماعات اليهودية والصهيونية[١].

٢. من المعلوماتية التفكيكية إلى التأسيس

كانت الفترة التي تلت عام ١٩٨٥م حتى وفاة المسيري مرحلة ما بعد تفكيك المصطلحات وبداية طرح البدائل لما يفككه من تلك المصطلحات في حقل اليهود واليهودية والصهيونية، فقد تداخلت وتبلورت أطروحاته النظرية وبدأ يرى علاقة الحلولية بالعلمانية، وعلاقة الإمبريالية والجماعة الوظيفية بكل منهما وبدأت تظهر النماذج التفسيرية الرئيسية لديه والتي على هديها بدأ في رؤيته الجديدة لليهود واليهودية والصهيونية[٢].

٣. حب الحصيد (الموسوعة)

يتضح من تطورات رؤية المسيري لليهود واليهودية والصهيونية السابقة، أن هناك نموذجاً ثاوياً في عقل المسيري يتشكل على هيئة متتالية تبزغ على مر الزمن ومع تطوره الفكري وخبرته العملية في حقل الصهيونية، وهو نموذج منفتح فضفاض تتم إعادة النظر فيه مع الزمن والخبرة بحيث يتوافق مع السياقات المعرفية والتاريخية والثقافية المحيطة به، ويتشكل المرة تلو الأخرى وفقاً لتلك السياقات. وعليه بنى المسيري رؤيته لليهودية وللصهيونية، فاليهود في هذا النموذج يختلفون عن اليهودية، واليهودية تختلف عن الصهيونية.

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج١، ص ٣٤-٣٥.

(٢) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. بيروت: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٢٦.

وبعد ما يقارب من ربع قرن من تناول الظاهرة الصهيونية، انتهى المسيري إلى نموذج تفسيري يختلف جذرياً عن الرؤية الغربية المتحيزة للصهيونية ودولتها الوظيفية، وعن كهنوت اليهود المنهجي ومؤسساتهم الرسمية التي ظلت تنتج فكراً زائفاً عن اليهود واليهودية والصهيونية، وكذلك يختلف تماماً عن مناهج مؤسساتنا العلمية والسياسية والدينية في رؤيتها لمسألة اليهود واليهودية والصهيونية. وقدم رؤية جديدة لها تمثل قطيعة معرفية معهما، ودعا بقوة لتبني منهجه ونموذجه التفسيري ذاك، ونبه إلى أهمية هذا الفهم الجديد والتفسير في بناء رؤية واقعية للتعامل مع الكيان الصهيوني المحتل وداعميه من الإمبريالية الغربية.

٤. النموذج المعرفي: الأداة التحليلية الأساسية في الموسوعة

يعد النموذج المعرفي هو الأداة التحليلية الأساسية في الموسوعة، وهو نموذج يبتعد عن الاختزالية والتفسيرات أحادية البعد، فهو نموذج مركب فضفاض يحاول أن يتناول الظواهر اليهودية والصهيونية في أبعادها السياسية والاقتصادية والحضارية والمعرفية، بل يشير إلى بعض العناصر التي قد يعجز هو عن تفسيرها. فهو نموذج على مستوى معقول من العمومية والخصوصية، يرمي إلى وضع اليهود واليهودية والصهيونية باعتبارهم حالة محددة في سياق إنساني عالمي مقارن يضم كل البشر ويدرك إنسانيتنا المشتركة، وحتى ندرك أن الحالة المحددة ليست شيئاً مطلقاً، وإنما تنتمي إلى نمط إنساني عام ومجرد. ويحاول أن يدخل الظواهر اليهودية والصهيونية المجال الرحب للعلوم الإنسانية وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا والتاريخ الإنساني، حيث يمكن من خلال نماذج مركبة رؤية علاقة الكل (العام) بالجزء (الخاص) دون أن يفقد أي منهما استقلاله وحدوده[1].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج١، ص٣٥-٣٦.

وانطلاقاً من هذا النموذج ورؤيته لخطورة المسألة الصهيونية طفق المسيري يبحث ويتعمق في فهم اليهود واليهودية التي أصبحت صهيونية تستبيح أرضنا ومقدساتنا وترهن حاضرنا ومستقبلنا للإمبريالية الغربية. وحاول تخليص الخطاب العربي الإسلامي من نقيصة تسرب كثير من المفاهيم والمسلمات والمقولات التحليلية الإنجيلية والعلمانية التي يتعامل العالم الغربي من خلالها مع الجماعات اليهودية في العالم، مثل: المنفى، والشتات، والشعب اليهودي، والقومية اليهودية. والتي أدت إلى تسرب كثير من المفاهيم والمقولات التحليلية الصهيونية إلى العقل العربي في تناوله للصراع العربي الصهيوني، لعل من أهمها مقولة (التاريخ اليهودي).

وقد أرجع المسيري قصور الخطاب التحليلي العربي في معالجته لليهود واليهودية إلى عدة أسباب تنضوي كلها أو معظمها تحت سبب واحد، وهو غياب النموذج التفسيري الاجتهادي المركب الذي لا يتبنى المسلمات القائمة، ولا يستبعد أيًّا من عناصر الواقع بقدر الإمكان، ويسترجع الفاعل الإنساني ككيان مركب لا يمكن رده إلى عنصر مادي (أو روحي) واحد أو اثنين. ولهذا دعا إلى دراسة الشأن اليهودي دون أن نسقط ضحية لإمبريالية المقولات، ودون أن نجرد أعضاء الجماعات اليهودية من سياقاتهم التاريخية والاجتماعية، ودون أن نتبنى تحيزات الآخرين سواء مع اليهود أو ضدهم، وأن ندرسهم من وجهة نظرنا وأن نخضع تحيزاتنا (ونماذجنا التحليلية) للاختبار المستمر لنرى مقدرتها التفسيرية بالمقارنة للنماذج التحليلية الأخرى[1].

وأنه حتماً ولا بد أن يبتعد الباحث العربي عن استخدام مصطلحات مثل (الشعب اليهودي) و(القومية اليهودية) أو حتى (الصراع العربي اليهودي)؛ لأنه لا يوجد بين الدين الإسلامي والقومية العربية من ناحية، والدين اليهودي من ناحية أخرى أي صراع سياسي مسلح أو غير مسلح، وإنما الصراع عربي إسرائيلي، أي صراع بين العرب والمستوطنين

(١) المصدر نفسه، ص٢٧-٣٠ بتصرف.

الصهاينة الذين استوطنوا فلسطين عن طريق العنف[١].

وأكد على ضرورة أن تبدأ دراسة المؤسسات والظواهر اليهودية من خلال دراسة المجتمع الذي يعيش أعضاء الجماعات اليهودية بين ظهرانيه (بدلاً من النظر إليهم من الداخل، وكأنهم كيان سياسي وحضاري مستقل)؛ لأن ذلك سيكشف أن كثيراً من الظواهر والمؤسسات اليهودية؛ التي كان يظن أنها يهودية، إن هي إلا صدى للظواهر السائدة في مجتمع الأغلبية وإعادة إنتاج لمؤسساته[٢].

كما رفض المسيري تفرد الظواهر اليهودية والصهيونية ورفض جيتوية[٣] المصطلح؛ لإيمانه بأن الظاهرة التي يشير إليها دال ما تخضع في كثير من جوانبها للقوانين العامة التي تحكم هذه الظاهرة، إلا أنه لم يتجاهل خصوصية والمنحنى الخاص للظاهرة الصهيونية وما يميزها عن غيرها من الظواهر. وحاول الوصول إلى مصطلحات أكثر تركيباً وتفسيرية وشمولاً ودقة تنبع من نموذج تحليلي جديد مركب لا يتبنى المرجعية الغربية أو الصهيونية، ويستند إلى إدراك عربي إسلامي للظواهر وإلى مرجعية عربية إسلامية تتجاوز التلقي وتعمل على إبداع رؤية عربية إسلامية إنسانية لحل الصراع مع الدولة الصهيونية الوظيفية التابعة للغرب، تنبع من تجربتنا الحضارية المتعينة ومعجمنا الحضاري الخاص دون أن تكون محصورة في هذه الذاتية لا تتجاوزها[٤].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٦، ص ٢٤.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **تاريخ الفكر الصهيوني**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ص١١-١٢.

(٣) يقصد المسيري بمصطلح «**جيتوية المصطلح**» هذا يعني أن المصطلحات، بل المفردات التي ترد في الكتابات الصهيونية لها معنى محدد يختلف عن معناه في النصوص الأخرى. فهي تحمل معنى خاصًّا ولها محتوى مميز يبرر البرنامج الصهيوني ويخدم أهداف الكيان الصهيوني فقط. انظر. المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية**. ط١. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٧٥م، ص ١٣-١٤.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج١، مصدر سابق، ص٤٥.

فقد تعامل المسيري مع الظاهرة الصهيونية كأي ظاهرة إنسانية ودرسها من الداخل والخارج، ورأى اليهود كما يرون أنفسهم ودرس دوافعهم الإنسانية ووضعهم في سياق اجتماعي وتاريخي واقتصادي؛ بل وفي سياق مقارن ليراهم أيضاً من الخارج فاكتملت لديه صورتهم دون تهوين أو تهويل[1]. وقد أنتجت رؤية المسيري تلك، نموذجاً جديداً للرصد والتحليل والتفكيك والتأسيس في التعامل مع اليهودية.

ويمكننا أن نرسم ملامح النماذج المعرفية الثلاثة التي طورها المسيري في الموسوعة من أجل فهم أفضل لليهود واليهودية والصهيونية، كالتالي:

أ- نموذج الحلولية الكمونية الواحدية

استخدم المسيري في دراساته لتطور اليهودية والصهيونية نموذج الحلولية الكمونية الواحدية، ومن خلاله أرخ للعقيدة اليهودية ولتصاعد معدلات الحلولية الكمونية فيها إلى أن سيطرت القبالاه عليها تماماً ولتطورات الصهيونية كعقيدة استيطانية إحلالية. والحلولية الكمونية[2] اليهودية والصهيونية، هي القول بأن العالم بأسره (الإنسان والطبيعة) يرد إلى جوهر واحد أو مبدأ واحد كامن في المادة هو مصدر بقائها وحركتها. وهذا المبدأ، يسميه دعاة وحدة الوجود الروحية (الإله)، فيحل الإله في الإنسان ثم يحل في بعض ظواهر الطبيعة ثم يحل فيها جميعها بغير استثناء حتى يصبح حالاً في كل شيء (الإنسان والطبيعة) كامناً فيه، ويصبح الإله والعالم وكل الوجود وحدة واحدة لا وجود مستقلاً للواحد عن الآخر؛ فتمحي الثنائيات تماماً بما في ذلك الثنائية اللفظية، وتسود الواحدية ويزول وهم التجاوز وننتقل من وحدة الوجود الروحية إلى وحدة

---

(١) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ٣٦.

(٢) الحلولية الكمونية، هي القول بأن العالم بأسره (الإنسان والطبيعة) يرد إلى جوهر واحد أو مبدأ واحد كامن في المادة، هو مصدر بقائها وحركتها. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٥، ص ٣٠.

الوجود المادية، وهو ما يسميه المسيري، (حلولية موت الإله أو حلولية بدون إله)[1].

ب- نموذج العلمانية الشاملة

العلمانية الشاملة عند المسيري، هي رؤية شاملة للواقع ذات بعد معرفي (كلي ونهائي) تحاول بكل صرامة تحديد علاقة الدين والمطلقات والماورائيات (الميتافيزيقية) بكل مجالات الحياة؛ فإما أن تنكر وجودها تماماً في أسوأ حال أو تهمشها في أحسنه، وترى العالم باعتباره مادياً زمانياً كل ما فيه في حالة حركة ومن ثم فهو نسبي. ويتفرع عن هذه الرؤية منظومات معرفية (الحواس والواقع المادي مصدر المعرفة)، وأخلاقية (المعرفة المادية المصدر الوحيد للأخلاق)، وتاريخية (التاريخ يتبع مساراً واحداً، وإن اتبع مسارات مختلفة، فإنه سيؤدي في نهاية الأمر إلى النقطة النهائية نفسها). ورؤية للإنسان (الإنسان ليس سوى مادة، فهو إنسان طبيعي/مادي)، والطبيعة (الطبيعة، هي الأخرى مادة في حالة حركة دائمة). كل هذا، يعني أن كل الأمور في نهاية الأمر، وفي التحليل الأخير، تاريخانية زمنية نسبية[2].

فالعلمانية الشاملة، هي رؤية عقلانية مادية شاملة للعالم تدور في إطار المرجعية الكامنة التي ترى أن مركز الكون كامن فيه، غير مفارق أو متجاوز له. فالعالم مكون من مادة واحدة ليست لها أي قداسة ولا تحوي أي أسرار، وهذه المادة تشكل الإنسان والطبيعة، فهي رؤية واحدية كونية مادية، ولذلك هي ليست مجرد فصل الدين أو الكهنوت أو القيم أو الدول عما يسمى الحياة العامة، وإنما هي فصل لكل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية المتجاوزة لقوانين الحركة والحواس عن العالم، ويتم تهميش الإله وإلغاؤه ليصبح الإنسان مركز الكون ثم ما يلبث أن يختفي الإنسان ويذوب لتظهر

---

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٠.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.** ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٠٩-٢١٠.

مركزية الإنسان الغربي في الكون، لتتحول الإنسانية الهيومانية[١] الغربية إلى إمبريالية. فهذه الرؤية المادية حولت الإنسان الغربي إلى مستغل للكون وحولت الطبيعة وبقية الشعوب إلى مجرد مادة استعمالية توظف وتسخر[٢].

فالرؤية العلمانية، هي في واقع الأمر رؤية حلولية كمونية مادية لا تفصل الدين عن الدولة وحسب، وإنما تعزل القيم المطلقة (المعرفية والأخلاقية والإنسانية والدينية) عن الدنيا بحيث يصبح مركز الكون كامناً فيه ويرد الواقع بأسره (الإنسان والطبيعة) إلى مستوى واحد، ويصبح كله مجرد مادة محضة نافعة نسبية لا قداسة لها توظف وتسخر[٣]. وبهذا يمكن القول بأن العلمانية الشاملة هي النظرية، والإمبريالية هي الممارسة[٤].

ج- نموذج الجماعات الوظيفية

ظهر نموذج الجماعة الوظيفية لدى المسيري بشكل جنيني في موسوعة ١٩٧٥م، وتعمق واتسع في السعودية ثم الكويت، وخرج من عالم التجارة إلى عالم النشاط الإنساني ككل ووضع الغريب في المجتمعات الإنسانية، بل والطبيعة البشرية ذاتها (أو الإنسانية المشتركة). وتم تطويره بشكل حاسم عند تأليف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ذاتها، فمن خلال عمليات الرصد المستمرة لوظائف اليهود بدأ

---

(١)الإنسانية الهيومانية الغربية، رؤية الفلسفة الإنسانية الهيومانية في الغرب المنطلقة من مفهوم الطبيعة البشرية وبمركزية الإنسان في الكون وبتأكيدها على القيم الأخلاقية المطلقة وعلى مقدرة الإنسان على تجاوز واقعه الطبيعي/ المادي وذاته الطبيعية/ المادية. انظر: مقال عبد الوهاب المسيري. "**الحداثة المنفصلة عن القيمة والإله الخفي**"، على موقع المسيري، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١٢م)، على الرابط التالي: https://www.elmessiri.com/articles_view.php?id=30

(٢)المسيري، عبد الوهاب. **الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان**. ط١. بيروت: دار الفكر،٢٠٠٢م، ص١٠٥-١١١.

(٣) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج١، مصدر سابق، ص٣٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٥٦.

نمط يتحدد ويظهر ويتكرر، حاول في بداية الأمر تفسيره من خلال الأطروحات التي استخدمها في موسوعة عام ١٩٧٥م، ولكن نطاق النمط السائد ضاق عن التفاصيل المتزايدة، فاضطر إلى توسيع حدوده وإعادة تسميته عدة مرات إلى أن انتهى به الأمر بمصطلح (جماعات وظيفية)[١].

- تعريف الجماعة الوظيفية

الجماعة الوظيفية، هي جماعة يستوردها المجتمع من خارجه أو يجندها من داخله، ويوكل إليها وظيفة محددة لا يمكن لأعضاء مجتمع الأغلبية القيام بها؛ إما لأنها مشينة، أو متميزة، أو تتطلب تدريباً معيناً غير متوفر لأعضاء الأغلبية، أو لأن الوظيفة ذات طابع أمني. ويتوارث أعضاء الجماعة الوظيفية الخبرات في مجال تخصصهم الوظيفي عبر الأجيال ويحتكرونها بل يتوحدون بها، وفي نهاية الأمر يكتسبون هويتهم ورؤيتهم لأنفسهم، وهي عملية يساعد عليها مجتمع الأغلبية لأنه يعرف عضو الجماعة الوظيفية من خلال وظيفته وحسب (لا من خلال إنسانيته الكاملة)، وبذلك يصبح عضو الجماعة الوظيفية إنساناً ذا بعد واحد يمكن اختزال إنسانيته في هذا البعد وهو وظيفته[٢].

- سمات أعضاء الجماعات الوظيفية

١. أعضاء الجماعات الوظيفية شخصيات متحوسلة (من كلمة (حوسل) بمعنى تحول إلى وسيلة)، ومنعزلة لا جذور لها ولا ولاء ينظرون لأنفسهم باعتبارهم كياناً مهماً مستقلاً، ولكنهم في الوقت نفسه ينظرون لأنفسهم في علاقتهم بالمجتمع المضيف باعتبارهم مادة توظف، وهم يدخلون في علاقات تعاقدية مع المجتمع لا تراحم فيها.

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **دفاع عن الإنسان**. القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٥.

(٢) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ١٨٥.

٢. تكون رؤية أعضاء الجماعات الوظيفية في الغالب، رؤية حلولية كمونية واحدية، إذ يرى عضو الجماعة الوظيفية أن الخالق أو المبدأ الأعظم قد حل فيه أو في وظيفته وتجسد في التاريخ من خلاله أو من خلالها، ولذا فهو عضو في شعب مختار، كل هذا يجعل من السهل على عضو الجماعة الوظيفية تحمل وضعه المؤلم، فهو يدخل في علاقة تعاقدية صارمة لا تراحم فيها مع المجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه. ورغم هذا، أو ربما بسببه، ينظر أعضاء الجماعة الوظيفية للعالم ولأعضاء المجتمع الأغلبية باعتبارهم مادة نافعة يمكن استغلالها والاستفادة منها.

٣. عضو الجماعة الوظيفية هو إنسان اقتصادي محض له بعد واحد (وظيفة محددة) متحرر من القيم الأخلاقية السائدة، يكرس ذاته لمنفعته ولذته ويؤمن بالنسبية الأخلاقية وبازدواجية المعايير وبالحتمية، ويتسم بالحركية ومرجعيته النهائية في علاقته بالمجتمع المضيف مرجعية مادية. ولكل ما سبق نجد أن أعضاء الجماعة الوظيفية يكونون عادة من حملة الفكر العلماني الشامل[١].

٥. ثلاثة نماذج مترابطة لفهم اليهودية

هذه النماذج الثلاثة تشترك معاً في أنها واحدية تنكر التجاوز وتلغي الثنائيات الفضفاضة والحيز الإنساني.

فثمة محور مشترك وسمة أساسية بين النماذج الثلاث، هي الواحدية الكاملة التي تتبدى على مستويات مختلفة؛ فالحلولية الكمونية تتبدى بالدرجة الأولى على المستوى الديني المعرفي (الكلي والنهائي)، في حين تتبدى الجماعات الوظيفية على المستوى

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٤٨٠-٤٨٢.

الاقتصادي والوظيفي بالأساس، أما العلمانية والإمبريالية الشاملة فإنها تتبدى بشكل مكثف على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية[١].

وما يجمع كل هذه النماذج (الجماعة الوظيفية – الحلولية - العلمانية الشاملة) أنها تؤدي في نهاية الأمر إلى الواحدية، وإلى استيعاب الجزء والتفاصيل في الكل، والخاص في العام، والإنساني في الطبيعي[٢].

٦. اليهود كجماعات وظيفية

شدد المسيري على أن الحديث عن اليهود بشكل عام، وباعتبارهم كتلة متماسكة غير مجدٍ، وأننا ما دمنا نستخدم نموذجاً واحدياً فلن نفهم شيئاً عنهم، فنموذج الوحدة يجعلنا نبحث عن عناصر التجانس بين أعضاء الجماعات اليهودية ونهمل عناصر عدم التجانس، في حين أن اليهود هم جماعات يهودية وما هو غير مشترك بينها أهم بكثير مما هو مشترك، وكل جماعة تستمد خطابها الحضاري من مجتمعها الذي تعيش فيه[٣]. كما أننا لا يمكن أن نفهم حركة الجماعات اليهودية في العصر الحديث، وسر تركزهم في بقع معينة دون غيرها، وفي تشكيل حضاري دون غيره، إلا من خلال مفهوم الجماعة الوظيفية هذا[٤].

كما يعد أعضاء الجماعات اليهودية في العالم الغربي؛ وخصوصاً في شرق أوروبا قبل الثورة الصناعية ووضعها كجماعات وظيفية، هو ما أفرز الصهيونية التي هيمنت

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **دفاع عن الإنسان.** ط١ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص ٣٤٠-٣٤٤.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **الجماعات الوظيفية اليهودية.** ط٢. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص ١٦.

(٣) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية.** ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ٣٥.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى.** القاهرة: دار المعارف، ط١، ٢٠٠٢م، ص٦٠.

إلى حد كبير على كل يهود العالم[1]. ومن ثم فلا يمكن فهم وضع اليهود في الحضارة الغربية والتطورات اللاحقة، إلا من خلال مفهوم الجماعة الوظيفية، وإدراك أن علاقة الجماعات اليهودية بالمجتمع الغربي تتسم بأنها علاقة نفعية تعاقدية لا تتسم بالتراحم.

فقد نظر العالم الغربي إلى أعضاء الجماعات اليهودية منذ البداية باعتبارهم: وظيفة تؤدى، ودوراً يُلعَب، وعنصرًا موضوعياً مجرداً ومحايداً، ومجرد مادة بشرية، فكانوا يستجلبون ليؤدوا وظائف شتى، من أهمها الوظائف المرتبطة بالأعمال المالية مثل التجارة والربا، ثم ضرب المجتمع الغربي عليهم العزلة ليحتفظ بمتانة نسيجه المجتمعي، فكان أعضاء الجماعات اليهودية يعيشون في جيتو خاص بهم على هامش المجتمع، يرتدون أزياء خاصة مقصورة عليهم، ويؤمنون بعقيدة مختلفة عن عقيدة مجتمع الأغلبية[2]. فالمسألة اليهودية، في جوهرها هي مشكلة الجماعة الوظيفية التي أصبحت بلا وظيفة[3].

يتبين مما سبق، أن التزام المسيري بالقضايا التي يؤمن بها واستبساله في الدفاع عنها بشكل عملي لم يكن مجرد اندفاع عاطفي تمليه اعتقاداته وانحيازاته وفقط، لا ولكنه كان التزاماً معرفياً في الدرجة الأولى قبل أن يكون عاطفياً. ويمكن القول أيضًا أن الالتزام بالدرس المعرفي لدى المسيري كان هو الخط الملازم لكل تحولات المسيري الفكرية في صراعه الطويل مع الصهيونية وداعميها الغربيين. فقد كان تحوله من الماركسية إلى الإسلام والذي منحه رؤية جديدة للكون والحياة، والذي تزامن مع اكتمال نموذجه المعرفي الجديد عن الصهيونية هو الذي أدى لظهور نموذجه التفسيري للصهيونية في ضوء الحلولية والعلمانية والجماعات الوظيفية، وأدى إلى تقديمه لإضافات جديدة في المسألة الصهيونية كما سيحاول المبحث التالي بيانها.

(١) المسيري، عبد الوهاب. **الجماعات الوظيفية اليهودية**، مصدر سابق، ص ١٣٨.

(٢) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ١٨٧-١٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

المبحث الثالث
الجديد الذي قدمه المسيري في دراسة الصهيونية

١. الرؤية الإسلامية والمسألة اليهودية

رفض المسيري التصور القائل بأن هناك ثمة صفات أساسية (ثقافية ودينية بل وعرقية أيضاً) تسم أعضاء الجماعات اليهودية وتفصلهم عن غيرهم من الشعوب والجماعات، ورفض أن تشير كلمة (يهودي) إلى يهود العالم في الحاضر والماضي والمستقبل، كما رفض أن تشير كلمة (يهودية) إلى نظامهم العقدي في كل زمان ومكان؛ وكأن سمات اليهود الثقافية لم يطرأ عليها أي تغير جوهري، وإن حدث فإنه يتم بالدرجة نفسها على مستوى العالم.

رفض المسيري كل تلك المسلمات؛ لأنها تتنافى تماماً لا مع واقع الجماعات اليهودية؛ كما درسها حسب نموذجه المعرفي التحليلي، وإنما أيضاً مع الرؤية الإسلامية التي يرى أنها تنظر لليهود واليهودية من خلال رؤية مختلفة. فكلمة (يهودي)، كما ترد في القرآن لها مجال دلالي عالمي متحرر من الزمان والمكان. واليهودي -حسب هذا التعريف- هو الشخص الذي تتوفر فيه مجموعة من السمات بغض النظر عن انتمائه العقدي أو الإثني[١].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟** ط٢. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨م، ص٣٤١.

فكلمة (يهودي)، ليست الكلمة الوحيدة التي تدل على اليهود في القرآن، فقد وردت عدة مصطلحات أخرى: بني إسرائيل (٤١ مرة) واليهود (٨ مرات) وهود (٣ مرات) والذين هادوا (٩ مرات)، وأوتوا الكتاب (١٢ مرة)، وأهل الكتاب (٣١ مرة). فالقرآن الكريم -بحسب المسيري- لا يفترض وجود هوية يهودية عالمية، ولذا وردت هذه المصطلحات غير المترادفة، ليعبر كل مصطلح عن وضع زماني ومكاني مختلف؛ فالقرآن يفرق تفرقة واضحة بين اليهود الذين عاشوا في الجزيرة العربية وتعامل المسلمون معهم في فترة البعثة المحمدية من جهة، وبين بني إسرائيل من جهة أخرى؛ فمصطلح (بني إسرائيل) جاء مخصصاً للحديث عن يهود عصر موسى وعيسى وأنبياء بني إسرائيل، ولم يستخدم هذا اللفظ تخصيصاً ليهود عصر البعثة المحمدية إلا في موضعين (من المواضع الأحد وأربعين) وهما: قوله تعالى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ[1]﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾[2]. وواضح أن في هذين الموضعين -كما يقول المسيري-، إحالة إلى موروثات قديمة يمكن أن يتناقلها اليهود، أيًّا كانت أصولهم العرقية، عن بني إسرائيل، أي يهود عصر موسى، الأمر الذي يفتح الباب لإمكانية توجيه الخطاب العام (اليهودي) بصفة الخاص (بنو إسرائيل) الذي هو مسؤول مسئولية مباشرة عن هذه الموروثات.

وهذا التمييز مفهوم تماماً في إطار الواقع التاريخي، فيهود المدينة والجزيرة العربية كانوا يؤمنون بصياغة دينية يقال إنها شبه توحيدية، فهم في أغلب الظن لم يكونوا يعرفون التلمود مع احتمال أن يكون تم جمعه آنذاك. ومن هنا، تكون التفرقة بين يهود عصر موسى ويهود المدينة، ومن هنا تكون ضرورة افتراض عدم وجود هوية يهودية عالمية، فلا بد من التفرقة بين يهود الماضي من جهة، ويهود العالم الحديث في أيامنا هذه من

(١) البقرة: ٢١١.

(٢) النمل: ٧٦.

جهة أخرى. فالمجالان الدلاليان، لكلمتي (يهودي) و(بني إسرائيل)، كما وردتا في القرآن محددان، ولا ينطبقان بالضرورة على يهود العصر الحديث.

كما يؤكد المسيري على وجود تناقض بين تعريف العقيدة اليهودية لليهودي والتعريف الإسلامي له: فكلمة (يهودي) في الإسلام، تعني (أتباع الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام). ورغم أنهم حرّفوه، أو أصروا على اتباع المحرف منه؛ فإن ثمة مبادئ أساسية وردت فيه لم يتم تحريفها من بينها الإيمان بالله واليوم الآخر. وهذا التعريف الإسلامي، لو طبق على يهود العالم الحديث لتم استبعاد ما يزيد على ٩٠٪ منهم، أو إذا توخينا الدقة لاستبعد ٥٠٪ منهم (الملحدون واللاأدريون[١]) ولتعذر تقبل ٤٠٪ (الإصلاحيون[٢] والمحافظون[٣] والتجديديون[٤]) كيهود. ولربما قبل الـ١٠٪ الأرثوذكس (فقط) كيهود (ويبدو أن العدد قد تراجع ليصبح ٧٪)، وحتى هذا أمر خلافي بسبب تزايد النزعة الحلولية التي هيمنت على اليهودية الحاخامية.

---

(١) اليهود الملحدون واللاأدريون، يقصد بهم هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله أو لا يعرفون على وجه التأكيد أنه موجود أو غير موجود.

(٢) اليهود الإصلاحيون، هم اليهود ثمرة حركة الاستنارة اليهودية الذين حاولوا أن يصلوا إلى صيغة معاصرة لليهودية تلائم العصر وتتخلص من آثار المطلقات اللاتاريخية التي كانت تدور في فلكها الديانة اليهودية. انظر. المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية: رؤية نقدية**.ط١.القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام،١٩٧٥م، ص ٤٥٢-٤٥٤.

(٣) اليهود المحافظون، هم اتجاه ديني عام داخل الديانة اليهودية حاولوا الاستجابة لوضع اليهود الجديد في العالم دون المساس بأسس الديانة. ولهذا ناهض تيار الإصلاحيين ورفض أي تطوير أو إصلاح لليهودية = من خارجها. انظر. المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية: رؤية نقدية**. ط١.القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام،١٩٧٥م، ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٤) اليهود التجديديون، هم تيار داخل اليهودية من المفكرين العلمانيين وشبه العلمانيين حاولوا إعادة صياغة النسق الديني اليهودي حتى يتكيف مع العلمانية، وتصبح كل منطلقات اليهودية الدينية والفلسفية ذات طابع نسبي تاريخاني. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: الموسوعة الموجزة**. ط٦.القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ج١، ص ١٦٢-١٦٣.

ولهذا يؤكد المسيري على أن المسلم لا يمكنه إلا أن يستبعد أولئك الذين لا ينطبق التعريف الإسلامي لليهودي؛ حتى لو سموا أنفسهم (يهوداً)، وحتى لو قبلتهم الشريعة اليهودية كيهود؛ فالمسلم ملزم بالتعريف الإسلامي لليهودي وليس بالتعاريف اليهودية والصهيونية المتعددة والمتناقضة لليهودي. كما يشير المسيري إلى التناقض بين مفهوم الهوية اليهودية العالمية ومفهوم الفطرة في الإسلام، مؤكداً أن افتراض وجود هوية يهودية عالمية (إثنية كانت أم عرقية)، يتناقض مع إحدى القيم الحاكمة الكبرى في الإسلام، وهو يقصد (مفهوم الفطرة). فالإنسان -حسب التصور الإسلامي-، يولد على الفطرة، وإن كان ثمة صفة وراثية فهي الفطرة الإنسانية والاستعداد لعمل الخير أو الشر، وهو مفهوم يضع على الفرد عبء المسئولية الخلقية، ويطرح إمكانية التوبة الدائمة (من جانب المخلوق)، وإمكانية المغفرة (إن شاء الخالق).

ومن ثم فإن فكرة الهوية اليهودية تشكل سقوطاً في المنطق العنصري العلماني الشامل الذي يرى الإنسان محكوماً بموروثه البيولوجي أو الاقتصادي أو العرقي أو مجموعة من الحتميات المادية الأخرى. والنص القرآني حذر من ذلك، ففرق بين اليهود عموماً من ناحية، وبين الصالحين والطالحين منهم من ناحية أخرى، وحكم على كل فريق منهم بما يستحقه من خير أو شر، ملتزماً في ذلك طريق العدالة والصدق.

كما يذهب إلى أن اليهودية تعد نموذجاً عاماً في القرآن، وهو يشدد على أنه بالرغم من ارتباط مصطلح (يهودي) بأزمنة وأمكنة محددة، ورغم أن مصطلح (يهودية) يشير إلى مجموعة من العقائد، إلا أن بالإمكان القول بأن أحد استخدامات كلمة (يهودي) في القرآن لها مجال دلالي عالمي متحرر من الزمان والمكان. واليهودي -حسب هذا التعريف- هو الشخص الذي تتوفر فيه مجموعة من السمات (بغض النظر عن انتمائه العقدي)[1].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟** القاهرة: دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٣٣٦- ٣٤٤ بتصرف.

٢. الإمبريالية والصهيونية

يذهب المسيري إلى أن مصير يهود العالم أصبح مرتبطاً تماماً بالإمبريالية بعد أن تركز يهود العالم في العالم الغربي؛ وبخاصة في الولايات المتحدة وإسرائيل. فالمصير اليهودي أصبح هو نفسه مصير الإمبريالية، وهذا يفسر تصهين الجماعات اليهودية في العالم وتراجع الجماعات المعادية للصهيونية، كما يرى أنه لا يمكن رؤية الصهيونية خارج هذا السياق الاستعماري الإمبريالي؛ فحلم اليهود بالعودة إلى أرض الميعاد قديم قدم اليهودية ذاتها، كما أن الفلسطينيين (العرب) كانوا لا يبدون أي مقاومة ضد اليهود الذين كانوا يحضرون لفلسطين للصلاة أو حتى للاستيطان لأهداف دينية بل كانوا يرحبون بهم. بل إن العودة الجماعية لم تكن مطروحة أساساً على المستوى الديني، ولكن الاستعمار الغربي وجد أن الحل الوحيد الممكن لمسألة الغرب اليهودية هي تصديرهم (عودتهم في المصطلح الديني) إلى آسيا وإفريقيا؛ لأن ذلك يتسق تماماً مع الرؤية الغربية الإمبريالية للكون التي حولت العالم إلى مادة استعمالية يوظفها القوي لصالحه ومن ضمنها اليهود الذين وظفوا من خلال الصهيونية لاستغلال العرب وسلب أرضهم وتفتيت شملهم ووحدتهم[١].

والصهيونية قد أدركت هويتها منذ البداية باعتبارها حركة علمانية شاملة ترفض العقيدة اليهودية، وترفض الإيمان بأي مطلقات أخلاقية أو دينية متجاوزة لعالم المادة والقوى السياسية والطبقية والصراعات الفكرية[٢]، وثمة علاقة بنيوية بين الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية والتشكيل الاستعماري الغربي من جهة، والصهيونية من جهة أخرى، فالرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية، مبنية على تصدير المشكلات للخارج،

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **الصهيونية والحضارة الغربية**. ط١. القاهرة: دار الهلال، ٢٠٠٣م، ص٢٣-٢٥.

(٢) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ٨٠.

بحيث يدفع بقية العالم فواتير التقدم الأوروبي. والحل الصهيوني بهذا المعنى، هو حل إمبريالي مبني على تصدير المسألة اليهودية إلى فلسطين لحل مشكلات أوروبا، وتوظيف العنصر البشري لصالحها. أما على المستوى السياسي، فقد أسست الإمبريالية الغربية الدولة الصهيونية، بحيث أصبحت قاعدة للاستعمار الغربي، تدين له ببقائها وتقوم على خدمته فهي دولة وظيفية تابعة للإمبريالية الغربية[١].

٣. رؤية جديدة للمسألة الصهيونية

بلور المسيري في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذجاً تفسيرياً معرفياً لفهم الصهيونية، حاول من خلاله تخليص الخطاب التحليلي العربي من نقائص كثيرة في معالجته للصهيونية الغازية لأوطاننا كدولة وظيفية تدافع عن مصالح الإمبريالية الغربية. وعلى رأسها، كثير من المفاهيم والمسلمات والمقولات التحليلية الإنجيلية والعلمانية التي يتعامل العالم الغربي من خلالها مع الجماعات اليهودية في العالم، مثل: (المنفى)، و(الشتات)، و(الشعب اليهودي)، و(القومية اليهودية) التي أدت إلى تسرب كثير من المفاهيم والمقولات التحليلية الصهيونية، ولعل من أهمها مقولة التاريخ اليهودي، إلى رؤانا وتصوراتنا عن الصهيونية.

ودعا إلى دراسة الشأن الصهيوني من خلال هذا النموذج المعرفي وعدم السقوط ضحية لما يسمى (إمبريالية المقولات)، أي أن يتبنى المرء مقولات الآخر التحليلية؛ عادة دون وعي منه، وأن ندرس ونرى الصهيونية ودولتها من وجهة نظرنا، مع إخضاع تحيزاتنا (ونماذجنا التحليلية في الوقت ذاته)، وللاختبار المستمر لنرى مقدرتها التفسيرية بالمقارنة بالنماذج التحليلية الأخرى[٢].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٦، ص ٦٧.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **تاريخ الفكر الصهيوني**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ص١١-١٢.

فقد طبق المسيري نموذج الحلولية (وحدة الوجود المادية) والعلمانية الشاملة والجماعات الوظيفية، على الصهيونية وإسرائيل، وبين أن الصهيونية تدور حول ثالوث حلولي يتكون من: الأرض (اليهودية)، والشعب (اليهودي)، أما العنصر الثالث، فهو المبدأ الواحد الذي قد يسمى (الإله اليهودي) أو (روح الشعب) أو (العرق اليهودي) أو (التوراة كتعبير عن روح الشعب). وهو عنصر رغم إطلاقه، غير مفارق للأرض والشعب، بل متحد معهما عضوياً.

واتبع في دراسة الصهيونية وإسرائيل، المنهج نفسه الذي اتبعه في دراسة اليهود واليهودية: البعد عن الموضوعية المتلقية، واستخدام النماذج كأداة تحليلية، والنظر إلى الصهيونية من الداخل والخارج.

فموقفه من الصهيونية لا يستند إلى قوالب اختزالية جاهزة وإنما يستند إلى تحليل مفصل لبنية الكيان الصهيوني تتجاوز النيات الحسنة والسيئة، ولا يعنى كثيراً بالسياسات المتغيرة ولا يتعامل مع المتغيرات إلا في ضوء الثوابت، وهذا التحليل يستند بدوره إلى تعريف مركب متعدد الأبعاد للظاهرة الصهيونية ودولتها يأخذ العام والخاص والخارج والداخل في الحسبان.

فقد أدرك المسيري أن الخطاب الصهيوني يتسم بعدم التجانس والإبهام والمراوغة، نظراً لاستخدامه آليات أسلوبية عديدة، مثل: استخدام أسماء ذات مسميات مختلفة، أو عدة أسماء لها في واقع الأمر مسمى واحد، أو كلمات لها معنى مبهم، ومثل ترك فراغات عديدة داخل الخطاب دون ملئها... إلخ.

ولهذا أكد أن قراءة أي نص صهيوني تتطلب فك شفرته، بأن نقرأ ما بين السطور، ونملأ الفراغات ونحاول التوصل للمعنى الدقيق للمصطلحات، ونحدد العلاقة بين الأسماء والمسميات، ونستخدم ما سماه (الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة والمهودة)، لأنها تشكل الأساس الراسخ والمقولات الثابتة وراء كل الديباجات والحيل

البلاغية الأخرى للخطاب الصهيوني. ومن خلال تلك العملية يمكننا أن نقوم بعملية استنطاق النص؛ أي أن نجعله ينطق بما هو متخفٍ وكامن فيه ولا يفصح عنه (المسكوت عنه)، فيتم تفكيك العبارات الصهيونية وصولاً إلى المقولات الثابتة وراءها ثم يعاد تركيب العبارات والنصوص والتصريحات في ضوء هذه المقولات[1].

ومن هذا المنطلق درس الصهيونية، كما يلي:

أ- الأسباب الرئيسة لظهور الصهيونية:

يورد المسيري مجموعة من الأسباب تكمن وراء ظهور الصهيونية، يجملها فيما يلي:

١- فشل المسيحية الغربية في التوصل إلى رؤية واضحة لوضع الأقليات على وجه العموم، ورؤيتها لليهود على وجه الخصوص؛ باعتبارهم قتلة المسيح ثم الشعب الشاهد (في الرؤية الكاثوليكية)، وأداة الخلاص (في الرؤية البروتستانتية).

٢- انتشار الرؤية الألفية الاسترجاعية والتفسيرات الحرفية للعهد القديم التي تماهت مع الرؤية الصهيونية.

٣- وضع اليهود كجماعة وظيفية داخل المجتمع الغربي (كأقنان بلاط[2] - يهود

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٦، ص ٨٠.

(٢) أقنان بلاط، تعبير شاع في العصور الوسطى في الغرب يشير إلى وضع اليهود داخل النظام الإقطاعي الغربي كجماعة وظيفية وسيطة كعبيد للملك أو الإمبراطور ملكية خاصة ويتمتعون بحمايته مقابل مهام خاصة يقومون بها مثل التجارة والربا وجمع الضرائب. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: الموسوعة الموجزة**. ط٦. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ج١، ص ١٢٦-١٢٧.

بلاط[1] - يهود أرندا[2] - صغار تجار مرابين)، وهو وضع كان مستقراً إلى حد ما، إلى أن ظهرت البورجوازيات المحلية والدولة القومية العلمانية (المطلقة والمركزية) فاهتز وضعهم وكان عليهم البحث عن وظيفة جديدة.

٤- مناقشة قضية إعتاق اليهود، في إطار فكرة المنفعة، ومدى نفع اليهود للمجتمعات الغربية.

٥- ظهور الرؤية المعرفية الإمبريالية، التي ترى العالم بأسره مادة نافعة توظف وتحوسل.

٦- تزايد عدد أعضاء الجماعات اليهودية زيادة ملحوظة بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ؛ خصوصاً في شرق أوروبا، ابتداء من القرن التاسع عشر، ومن ثم ضرورة البحث عن حل لاستيعابهم دون تغلغلهم في المجتمعات الغربية المسيحية.

٧- وجود اليهود في مناطق حدودية متنازع عليها بين الدول الغربية.

٨- تعثر التحديث في شرق أوروبا، الأمر الذي دفع بالألوف إلى أوروبا الغربية، وهو ما ولد الفزع في قلوب حكومات غرب أوروبا وأعضاء الجماعات اليهودية فيها.

٩- يعد المسيري عام ١٨٨٢م (تاريخ صدور قوانين مايو، التي كرست تعثر التحديث في الإمبراطورية القيصرية الروسية)، هو تاريخ ظهور الصهيونية بين اليهود. ومع

---

(١) يهود بلاط، هم اليهود وكلاء الحكام ومستشاروهم في الأمور التجارية والمالية في العالم الغربي، وكانوا أهم الجماعات الوظيفية الوسيطة في عصر الملكيات المطلقة في أوروبا في القرن السابع عشر. انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) يهود أرندا، هم اليهود الذين كانوا يؤجرون الأرض من الارستقراطية البولندية ويجمعون الضرائب من المزارعين البولنديين في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٧-٤٥٧.

عزلة يهود اليديشية[1] ثقافياً، وبخاصة في منطقة الاستيطان التي حددتها لهم الدولة الروسية، وفشل قطاعات كبيرة منهم في التكيف مع الأوضاع الجديدة.

١٠- أزمة اليهودية الحاخامية، وظهور حركات الإصلاح والدمج بين الأجيال الجديدة من اليهود.

١١- سقوط القيادات التقليدية للجماعات اليهودية (الحاخامات وأثرياء اليهود)، وظهور المثقف اليهودي الذي فقد هويته اليهودية؛ ولم يكتسب هوية غربية جديدة، فهو يهودي غير يهودي يصر عالم الأغيار على تصنيفه يهودياً، ومثل هؤلاء المثقفين هم الذين أخذوا بالتدريج يحلون محل القيادات التقليدية.

١٢- ظهور الفكر العنصري، وهيمنته على قطاعات كبيرة في المجتمعات الغربية.

١٣- ولكن أهم العناصر على الإطلاق، هو ظهور الإمبريالية الغربية كقوة عسكرية وسياسية عالمية (بمعنى أن ساحتها العالم بأسره): تجيش الجيوش، وتنقل السكان، وتقسم العالم. وقد وجدت الإمبريالية الغربية في أعضاء الجماعات اليهودية ضالتها، باعتبارهم مادة استيطانية تسبب مشكلات أمنية؛ إن بقيت داخل العالم الغربي ولكنها تستطيع أن تزيد نفوذه إن نقلت خارجه وتحولت إلى مادة قتالية تحوسل لحساب الغرب داخل نطاق الدولة الوظيفية. ووجدت القيادات الصهيونية بدورها، أن ثمة إمكانية لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ من خلال تقبل الوظيفة القتالية المطروحة[2].

---

(١) يهود اليديشية، مصطلح يستخدم بدلًا من يهود شرق أوروبا الذين كانوا يتحدثون باللهجة اليديشية، يشير إلى الجماعات اليهودية الموجودة في بولندا وروسيا. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: الموسوعة الموجزة**. ط٦. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ج١، ص٤٤٤.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٦، ص٩٠-٩١.

ب- ما الصهيونية؟

١. رفض تعريفات المعاجم الغربية للصهيونية

رأى المسيري أن التعريفات الشائعة للصهيونية في المعاجم الغربية تتسم بضعف قدرتها التفسيرية، فإن كانت الصهيونية هي حركة القومية اليهودية وعودة اليهود لأرض الأجداد (كما تقول بعض المعاجم)، فكيف نفسر أن أغلبية هذا الشعب اليهودي الساحقة لا تزال تعيش في المنفى متمسكة به وتدافع عن حقوقها فيه؟ وكيف نفسر امتلاء مخيمات اللاجئين بملايين الفلسطينيين؟ كيف نفسر ما يقومون به من مقاومة؟[١].

فالصهيونية في تصور المسيري ليست جزءاً من العقيدة الصهيونية وإنما هي تجلٍّ إمبريالي للعلمانية الشاملة، وهي ليست القومية اليهودية وليست القومية الإسرائيلية كما يدعي الصهاينة، لكنها أيديولوجيا سياسية غربية ذات توجه استعماري إحلالي وديباجات يهودية[٢].

٢. تعريف جديد للصهيونية

شدد المسيري على ضرورة الوصول إلى تعريف جديد للصهيونية له مقدرة تفسيرية عالية يمكننا من فهم الظواهر الصهيونية والتنبؤ بحركتها والتعامل معها سلماً والتصدي لها حرباً، خاصة أن كلمة (صهيونية)، كلمة شائعة يستخدمها الجميع في الشرق والغرب، الأمر الذي خلق الوهم أن معناها واضح وحقلها الدلالي محدد[٣]، ولإنجاز ذلك شدد المسيري على ضرورة أن نرى الصهيونية باعتبارها ظاهرة مركبة دخل

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٦، ص٢٩.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **تاريخ الفكر الصهيوني**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ص١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧.

في تركيبها عناصر كثيرة، بعضها خاص بالدوافع وبعضها خاص بالأفكار، ولكن بعضاً ثالثاً وهو الأهم خاص بالبنية وبما تحقق في الواقع.

كما أننا يجب ألا نقع في الخطأ المنهجي الذي يقع فيه كثير من الباحثين الذين يتصورون الصهيونية على أنها ظاهرة يهودية، وأنها نتاج التوراة والتلمود والبروتوكولات، ولذا فهم حين يدرسون الصهيونية وإسرائيل فإنهم يسرعون بالبحث في التوراة وليس في الواقع الإسرائيلي؛ فالصهيونية ليست ظاهرة يهودية ولا ظاهرة عالمية؛ وإن سمت المنظمة الصهيونية نفسها المنظمة اليهودية العالمية، بل هي فكرة غربية أولاً وأخيراً نشأت في العالم الغربي وتبناها العالم الغربي من أجل تحويلها من مجرد فكرة إلى واقع وظاهرة ثم حققها ودعمها وهو دعم تزايد على مر الأيام[1].

ولهذا رفض المسيري ما يراه الصهاينة والمعادون لليهود من أن الحركة الصهيونية بدأت مع التاريخ اليهودي ذاته، وأنها لازمت اليهود عبر تاريخهم بعد تحطيم الهيكل، وأن ظهور الصهيونية، يعود لسببين: أحدهما سلبي يتعلق بظاهرة العداء لليهود والمذابح والاضطهاد الذي تعرض له اليهود في كل مكان وزمان، وهي ظاهرة حتمية من المنظور الصهيوني، وسبب آخر إيجابي يتعلق بالرغبة العارمة لدى اليهودي في العودة إلى فلسطين حيث إنه يشعر بالاغتراب العميق في أرض المنفى؛ فاليهود حسب هذا الزعم، يشكلون قومية رغم أنهم لا يوجدون في مكان واحد ولا يتحدثون اللغة نفسها ولا يتسمون بالسمات العرقية أو النفسية نفسها ولا يخضعون للظروف الاقتصادية نفسها، وأن المسألة اليهودية قد بدأت يوم أن ترك اليهود وطنهم قسراً، والصهيونية هي التي ستضع نهاية لهذا الوضع المأساوي، عبر رفض سلبية اليهود الحاخامية وخنوع الشخصية اليهودية عبر تحريض اليهود على العودة بأنفسهم إلى فلسطين ليحققوا

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م، ص ٦٧-٦٨.

تطلعهم القومي، ومن ثم تنظر الصهيونية إلى نفسها باعتبارها التعبير الحقيقي والوحيد عن مسار التاريخ اليهودي[١].

رفض المسيري كل التعليلات السابقة، ومن خلال عملية تفكيك وتحليل للظاهرة الصهيونية باستخدام نماذجه المعرفية الثلاثة السابق الإشارة إليها توصل إلى تعريف جديد للصهيونية يكشف ما تصور أنه الثوابت البنيوية أو المسلمات الأساسية الكامنة في الظاهرة الصهيونية، وتوصل إلى ما سماه (الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة)[٢].

وهو تعريف لا يخدع بالاعتذاريات والديباجات[٣](المؤيدة أو المناهضة للصهيونية)، وإنما يبدأ من خلال (الفعل) ذاته الذي نادى به الصهاينة، وتم فيما بعد برعاية بريطانيا، والذي ترك أثراً عميقاً في حياة اليهود الذين استوطنوا فلسطين، وفي حياة الفلسطينيين العرب.

فالصهيونية في نظر المسيري، هي (الحركة التي قامت في العالم الغربي، ودعت إلى نقل كل أو بعض أعضاء الأقليات اليهودية من أوطانهم وتوطينهم خارج أوروبا)، وكان هناك ما يشبه الإجماع على (أن يتم نقل اليهود إلى فلسطين)، وتطلبت عملية

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **الموسوعة المختصرة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤م، ج٢، ص ١٩-٢٠.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م، ج١، ص ٤٧.

(٣) الاعتذاريات والديباجات، مصطلحان يقصد بهما المسيري ما يلي: الاعتذاريات هي محاولة تشويه الحقائق من خلال فرض تفسير ما على حدث أو فعل بما يتفق ومصلحة من يقوم بذلك وبما يمليه عليه موقعه، مثل اعتذاريات الصهيونية التي تحاول تبرير طرد الفلسطينيين من أرضهم بادعاء أن تلك الأراضي الفلسطينية هي أرض الأجداد اليهود أو أنها أرض بلا شعب لتبرير إجرامهم؛ في حين أن الديباجات، =هي كلمات تعبر عن المسافة بين الكلمة ومعناها؛ فالديباجة تضاف إلى النص فيمكن أن توضحه ويمكن أن تخفي معالمه ويمكن أن تبرره عن حق أو عن باطل، مثل قولنا (الصهيونية ذات الديباجة المسيحية) بمعنى أنها صهيونية تدعي أن لها أسساً مسيحية وهي في الواقع ليست كذلك. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج١، ص٥١، ص ١٢١-١٢٢.

النقل الديموغرافي (الترانسفير)[١] هذه، عملية أخرى هي (التخلص من سكان فلسطين) بنقلهم من وطنهم إلى مكان آخر، أو بتذويبهم في العنصر الديموغرافي الجديد أو حتى إقناعهم بالاختفاء وبالتحول إلى (دياسبورا[٢]) أي أقليات مشتتة[٣].

٣. الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة المهودة

وذهب المسيري إلى وجود صيغة صهيونية أساسية شاملة تشكل التعريف الحقيقي للصهيونية، وإلى وجود عقد صامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية كامن في هذه الصيغة[٤]؛ فالصهيونية ظاهرة مركبة تتسم بشيء من الفرادة، إلى جانب ديباجاتها الدينية والقومية المصقولة، وهذا يشكل صعوبة في عملية التعريف.

والصيغة الصهيونية الأساسية، هي الصيغة التي توصلت إليها أوروبا قبل أن يظهر اليهود لاعبين أساسيين، وهذه الصيغة ملخصها فيما يلي: اليهود يكونون شعباً عضوياً متماسكاً -لا ينتمي لأوروبا لارتباطه بأرض الميعاد أي فلسطين- هذا الشعب هو في واقع الأمر جماعات وظيفية بلا وظيفة، ولذا أصبح أعضاؤها فائضاً بشرياً، ولذا يجب التخلص منه عن طريق نقله من أوربا إلى أي مكان خارجها ولكن تم اختيار فلسطين في نهاية الأمر (بسبب موقعها الاستراتيجي) لينقل إليها الفائض البشري هناك، على أن يتم إبادة السكان الأصليين أو طردهم أو تسخيرهم عمالة رخيصة، كما هو الحال في الجيوب الاستيطانية الأخرى كلها. وتخدم الكتلة البشرية الوافدة المصالح الغربية، وفي

---

(١) الترانسفير، هي عملية نقل الإنسان قسراً من وطنه إلى أي مكان آخر بدون سعي منه أو بدون موافقته، والمقصود هنا اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم وطردهم من فلسطين لإحلال اليهود الصهاينة مكانهم. انظر: المصدر نفسه، ج٧، ص٨٦-٨٧.

(٢) دياسبورا، كلمة يونانية تعني الشتات أو الانتشار. وهي تعني هنا أن اليهودي الموجود خارج فلسطين هو في المنفى حتى يعود إلى أرض إسرائيل. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **الموسوعة المختصرة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط٦. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ج٢، ص ٧١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٣١-٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص١٦.

المقابل يحميها الغرب ويضمن بقاءها واستمرارها؛ أي إن الفائض البشري اليهودي الذي لم يمكن استيعابه داخل التشكيل الاستعماري الحضاري الغربي سيتم استيعابه داخل الإمبريالي الغربي، بأن توكل إليهم وظيفة قتالية بدلاً من وظيفتهم التجارية الربوية التي فقدوها، ثم يتم حل المسألة اليهودية من خلال حل المسألة الشرقية، فتوطين الفائض البشري اليهودي في فلسطين سيعني الإسراع بتقسيم الدولة العثمانية[١].

هذه الصيغة الشاملة لم يفصح عنها أحد بشكل مباشر، إلا بعض المتطرفين في بعض لحظات الصدق النماذجية[٢] النادرة، ولكن عدم الإفصاح عنها لا يعني غيابها فهي تشكل هيكل المشروع الصهيوني والبنية الفكرية التي أدرك الصهاينة الواقع من خلالها[٣].

وهذه الصيغة لم تظهر كاملة بين يوم وليلة، وإنما ظهرت بالتدريج، وكان يضاف لكل مرحلة عنصر جديد، إلى أن اكتملت مع صدور وعد (بلفور)، وتحولت إلى الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة. فهذه الصيغة الصهيونية الأساسية، تضرب بجذورها في الحضارة الغربية[٤].

وهذه الصيغة الشاملة، تصلح إطاراً لكتابة تاريخ عام للصهيونية، باعتبارها حركة فكرية سياسية اقتصادية اجتماعية في الحضارة الغربية (لا بين أعضاء الجماعات

---

(١) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١.بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ٩٢-٩٣.

(٢) لحظات الصدق النماذجية، مصطلح يقصد به المسيري، تلك اللحظات التي يفصح فيها النموذج التفسيري عن مرجعيته النهائية افصاحاً كاملاً في كتابات الفيلسوف صاحب النموذج أو في ممارسات من يحاولون وضع هذا النموذج موضع التنفيذ أو بعد اكتمال حلقات المتتالية التي تعبر عن تجلي النموذج في التاريخ. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج١، ص١١٧.

(٣) المسيري، عبد الوهاب. **تاريخ الفكر الصهيوني**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ص٣٠.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. **تاريخ الفكر الصهيوني**، مصدر سابق، ص٣٠-٣١.

اليهودية وحسب)، بحيث لا يتم الفصل بين صهيونية اليهود وصهيونية غير اليهود كما هو متبع، وإنما ينظر إليهما كمراحل مترابطة في سياق تاريخي حضاري واحد. والصيغة الشاملة، هي الأسس الذي يستند إليها ما يسميه المسيري، (العقد الصهيوني الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية بشأن يهود الغرب). فهذا العقد يتيح الفرصة أمام يهود الغرب؛ لأن يحققوا من خلال الخروج من العالم الغربي ما فشلوا في تحقيقه من خلال البقاء فيه. وعلى المستوى السياسي، يمكن القول بأن الصيغة الشاملة تعني ربط حل المسألة اليهودية (المادة البشرية المستهدفة) بالمسألة الشرقية (المجال الذي ستنقل فيه لتوظف لصالح الحضارة الغربية).

ولهذا لا بد من تجاوز التعريفات الاختزالية الشائعة، صهيونية كانت أم معادية للصهيونية، مثل: (الصهيونية هي عودة اليهود لأرض أجدادهم، أرض الميعاد)، أو (الصهيونية هي تعبير عن الشر المتأصل في النفس اليهودية والمؤامرة اليهودية للسيطرة على العالم)، أو (الصهيونية إن هي إلا تعبير عن الإمبريالية الغربية)، أو (الصهيونية تعبير عن رغبة الرأسمالية اليهودية في استغلال الفلسطينيين والعرب).

والبحث عن صيغة تهويد الصيغة الشاملة، (الصيغة الشاملة المهودة)، وذلك حتى يتحقق لليهود استبطانها ومن ثم الانخراط في المشروع الغربي الإمبريالي الصهيوني لتفتيت العالم العربي والاستيلاء على ميزات موقعه وكامن ثرواته[1].

وتشير الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة، إلى الثوابت والمسلمات النهائية الكامنة في الاتجاهات الصهيونية كافة، مهما اختلفت دوافعها وميولها ومقاصدها وطموحاتها وديباجاتها واعتذارياتها. ولا يمكن وصف أي قول أو اتجاه بأنه صهيوني إن لم يتضمن هذه المسلمات، فهي بمنزلة البنية العامة الكامنة وهي التي تشكل الأساس الكامن للإجماع الصهيوني[2]. **ويمكن تلخصيها فيما يلي:**

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **تاريخ الفكر الصهيوني**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩.

أ) اليهود شعب عضوي منبوذ غير نافع، يجب نقله خارج أوروبا ليتحول إلى شعب عضوي نافع.

ب) ينقل هذا الشعب إلى فلسطين، بسبب أهميتها الاستراتيجية للحضارة الغربية، وبسبب مقدرتها التعبوية بالنسبة للمادة البشرية المستهدفة، ليوطن فيها وليحل محل سكانها الأصليين الذين لا بد أن تتم إبادتهم أو طردهم على الأقل، كما هو الحال مع التجارب الاستعمارية الاستيطانية.

ج) يتم توظيف هذا الشعب لصالح العالم الغربي، الذي سيدعمه ويضمن بقاءه واستمراره داخل إطار الدولة الوظيفية في فلسطين[١].

وتعريف الصهيونية الذي يطرحه المسيري له قيمة تفسيرية عالية، فهو يفسر المسألة الفلسطينية والحروب المستمرة بين الصهاينة والعرب، والدعم الغربي المستمر للدولة الصهيونية، والتفات معظم يهود العالم إلى إسرائيل ورفض معظمهم في الوقت نفسه الهجرة إليها، كما أنه يبين هذا التلاقي الذي يبدو غريباً بين الصهاينة والمعادين للسامية (اليهود)، ويفسر الطبيعة الاستعمارية الاستيطانية الإحلالية للدولة الصهيونية وديباجاتها اليهودية الفاقعة في الوقت ذاته، كما أنه يلقي الضوء على أسباب ظهور الأزمة الصهيونية اليوم في الكيان الصهيوني[٢].

خامساً: رؤية جديدة للدولة الصهيونية

في إطار رؤيته السابقة للصهيونية عالج المسيري وضعية الدولة الصهيونية المحتلة لفلسطين وادعاءها أنها قد أسست تحقيقاً لفكرة القومية اليهودية، ودحض مقولة أن هذه الدولة الصهيونية دولة يهودية، ونبهنا إلى خطورة تقبل ذلك؛ أنه يجعلنا نسقط في

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق،١٩٩٩م، ج٦، ص ١٧.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي**. ط١. بيروت: دار الفكر،٢٠٠٣م، ص ١٤٣.

فخ المصطلح الصهيوني المعبأ بالتحيزات الصهيونية، ولأنه يجعلنا لا ندرك طبيعتها الاستعمارية الاستيطانية الإحلالية، وأنها دولة وظيفية تابعة للولايات المتحدة؛ كما أن إصرار الخطاب الصهيوني على تسمية إسرائيل دولة يهودية يجعل الصراع دينياً بين اليهود والمسلمين وبذلك يدعم أسطورة التراث الديني اليهودي المسيحي المشترك، فيصبح الغرب كله طرفاً في الصراع ضد العالم الإسلامي. وبالطبع إذا كانت إسرائيل دولة يهودية تمثل كل يهود العالم، وكان اليهود شعباً يعود إلى أرض الأجداد فإن المقاومة دون شك تصبح إرهاباً[1].

فإسرائيل ليست دولة يهودية، والادعاء الصهيوني بأنها تنبع من التوراة والتلمود والتطلع اليهودي الأزلي للعودة لا أساس له من الصحة، ومن الخطأ قبول الادعاء الصهيوني أن الدولة الصهيونية دولة يهودية، فهي في الواقع الأمر دولة استعمارية استيطانية إحلالية لا يمكن فهم آلياتها وحركياتها إلا في هذا الإطار. وفي ضوء هذا الفهم عرّف دولة الكيان الصهيوني المسماة (إسرائيل).

أ- ماهية الدولة الوظيفية الصهيونية

عرف المسيري الدولة الوظيفية بأنها الدولة التي تؤسس أو يعاد صياغة توجهها أو توجه نخبتها الحاكمة لتضطلع بوظيفة معينة ويصبح جوهرها هو هذه الوظيفة. ومن خلال نموذجه التفسيري، رأى المسيري إسرائيل دولة وظيفية نتاج الجماعة الوظيفية اليهودية التي يدعمها الغرب الإمبريالي لتضطلع بوظيفة محددة لصالحه؛ فالدولة الصهيونية الوظيفية، هي نتاج تحويل الجماعات اليهودية التي أصبحت بلا وظيفة إلى جماعة وظيفية عسكرية تحمي المصالح الغربية في المنطقة العربية[2]. والدولة

(١) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ١٢٨.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي**. ط١. بيروت: دار الفكر،٢٠٠٣م، ص ٢٥.

الصهيونية الوظيفية، أي إسرائيل، هي دولة تتسم بكل سمات الجماعات الوظيفية، فهي تدخل في علاقات تعاقدية نفعية مع الغرب (خدمة المصالح الغربية نظير أن يحميها الغرب)، وهي دولة جيتو/قلعة منعزلة عن محيطها الحضاري ذات رؤية حلولية كمونية، فهي تتصور أنها منفصلة عن الزمان والمكان ولديها إحساس عميق بتفوقها، ورسالتها المقدسة وتتبنى أخلاقيات مزدوجة في علاقتها مع الذات ومع الآخر[١].

ومن أهم السمات البنيوية للدولة الوظيفية الصهيونية أنها: قاعدة استراتيجية للغرب، وأنها ممولة من الخارج، معزولة عن محيطها العربي؛ لأنها عنصر غريب يحتل ويقاتل نظير المال[٢]؛ فالسمة الأساسية للدولة الصهيونية، أنها تجمع استيطاني إحلالي يوظف الديباجات اليهودية ونقطة انطلاقه هي الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة المهودة، التي تذهب إلى أن اليهود شعب عضوي يعيش في الغرب ولا ينتمي إليه، ولذا يجب أن يوطن في أرض أجداده، أي فلسطين، التي يجب أن تفرغ ممن قد يتصادف وجوده فيها من البشر، وقد ترجمت هذه الصيغة إلى الشعار (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)[٣].

والدولة الصهيونية، ليست مجرد دولة وإنما هي دولة وظيفية، بكل ما تتسم به الدولة الوظيفية من عزلة واعتماد على قوى خاصة، وقد عبرت هذه الوظيفية عن نفسها في بنية متكاملة من القوانين العنصرية (قوانين العودة والجنسية)، والمفاهيم العدوانية (نظرية الأمن - مفهوم السلام - مفهوم الحكم الذاتي) والمؤسسات الاقتصادية الاستبعادية (الكيبوتس - الصندوق القومي اليهودي)، ومؤسسات القمع التي تتمتع بكفاءة عالية

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة تاريخ الصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الحسام، ١٩٩٦م، ج٣، ص٦٣-٦٤.

(٣) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١ .القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٧، ص١٣.

(المؤسسة العسكرية الإسرائيلية – الموساد - الشين بين... إلخ) [1].

والمجتمع الإسرائيلي لا يخضع لقوانين أزلية تعبر عن الجوهر اليهودي أو التاريخ اليهودي، وإنما يخضع للقوانين التي يخضع لها معظم أعضاء الجيوب الاستيطانية مثل: الإحساس بعدم الأمن، ومحاولة إنكار تاريخ السكان الأصليين ووجودهم والرغبة في التخلص منهم، كما أن التجمع الصهيوني لا يختلف عن كل الجيوب الاستيطانية في شهوته المتزايدة للتوسع والاستيلاء على أراضي الآخرين؛ كما يخضع الإسرائيليون أيضاً، للقوانين التي يخضع لها أعضاء المجتمعات الغربية الاستهلاكية (التوجه الشديد نحو اللذة - والتركيز على المصلحة الاقتصادية المباشرة -والتمركز حول الذات الأوروبية)[2].

سادساً: لماذا نجحت الصهيونية؟

يؤكد المسيري أن السر الحقيقي للنجاح الصهيوني في الغرب لا يعود إلى سيطرة اليهود على الإعلام، أو لباقة المتحدثين الصهاينة أو إلى مقدرتهم العالية على الإقناع والإتيان بالحجج والبراهين، أو إلى ثراء اليهود وسيطرتهم المزعومة على التجارة والصناعة، وإنما يعود إلى أن صهيون الجديدة جزء من التشكيل الاستعماري الغربي، وإلى أنه لا يمكن الحديث عن مصالح يهودية وصهيونية مقابل مصالح غربية، وإلى أن الإعلام واللوبي الصهيونيين يمثلان أداة الغرب الرخيصة.

كما أن نجاح اللوبي اليهودي والصهيوني، في أمريكا وأوروبا يعود لأنه يدور في إطار المصالح الاستراتيجية الغربية، وأنه يعرض دولته الصهيونية باعتبارها أداة، أي أن مصدر نجاحه لا يعود لقوته الذاتية أو لعناصر كامنة فيه وإنما بسبب اتفاق مصلحته مع

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **الصهيونية وخيوط العنكبوت**. ط١.بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٦م، ص ١١٤-١١٦.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص٦١٣.

مصلحة الغرب الاستراتيجية[1].

ومِن ثَمَّ فإن تضخيم قوة اللوبي والإعلام الصهيوني وجعلهما مسئولين عن كل ما يحدث في الغرب هي أسطورة قد يكون لها علاقة ما بالواقع، ولكنها ذات مقدرة تفسيرية ضعيفة لعدم إحاطتها بهذا الواقع ولعجزها عن التمييز بين ما هو جوهري وما هو فرعي فيه. بل يمكن القول بأن هذه الأطروحة الشائعة في أشكالها المتطرفة، هي امتداد للرؤية التآمرية الاختزالية البروتوكولية (نسبة إلى بروتوكولات حكماء صهيون) التي تجعل اليهود مسئولين عن كل شيء وتجعل الغرب ضحية للتلاعب اليهودي الصهيوني.

وهذا تبسيط للأمور يعمي الأبصار، فهل يمكن أن يتصور أحد أن التشكيل الاستعماري الغربي الذي حول العالم بأسره إلى ساحة لنشاطه من خلال جيوشه ومخابراته (والآن من خلال عملائه ومخابراته) والذي أسس تشكيلاً حضارياً وبنية اجتماعية ونظاماً سياسياً يهدف إلى استغلال المصادر البشرية والطبيعية للكون بأسره وتوظيفها لصالحه أن تحدد سياسات هذا الكيان نتيجة تدخلات قوة سياسية مثل اللوبي اليهودي الصهيوني، وهل لو أن اليهود اختفوا تماماً ولم يعد لهم أثر، ولو أن إسرائيل اختفت من على خريطة العالم، هل تتغير سياسة الولايات المتحدة وتصبح قوة مسالمة تتصالح مع القوى القومية والداعية للسلام والبناء، أو أنها كانت ستبحث عن عملاء آخرين وعن أشكال أخرى للتدخل؟[2]

إن توافق المصالح وتوافق الإدراك الغربي والصهيوني -كما يقول المسيري-، هو سر نجاح إسرائيل الإعلامي ومصدر قوة اللوبي الصهيوني وليس العكس، وهي العوامل التي تحدد في نهاية الأمر السلوك الغربي. فالإعلام واللوبي الصهيوني لا يستمدان

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٦، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص ٣٥٥.

قوتهما من كفاءة الصهاينة، وإنما من أن إسرائيل وجدت لنفسها مكاناً داخل الاستراتيجية الغربية، ولأنها جعلت نفسها أداة طيعة رخيصة كفئاً لتحقيق هذه الاستراتيجية. وتحديد القضية على هذا النحو، لا يعني التقليل من أهمية اللوبي الصهيوني أو مقدرته على تعبئة الرأي العام الأمريكي لصالح إسرائيل، أو من فعاليته في التأثير على صانع القرار الأمريكي (وبخاصة في أمور الشرق الأوسط والصراع العربي-الإسرائيلي)، ولكنه لا يفسر كل سلوك الغرب على أساسه، إذ تظل الأولويات الاستراتيجية التي حددها صانع القرار الغربي هي التي تفسر سلوكه. وإدراكنا لهذه الحقيقة سيعمق إدراكنا للواقع وحركياته ويزيد مقدرتنا على التنبؤ والتصدي[1].

سابعاً: أزمة الصهيونية

أزمة الصهيونية، اصطلاح يستخدمه المسيري للإشارة إلى المشكلات التي تواجهها الصهيونية كعقيدة تستند إليها الدولة الصهيونية وتدعي لنفسها الشرعية على أساسها وتؤسس علاقتها بيهود العالم والعالم الغربي من خلالها. وعناصر هذه الأزمة كثيرة من أهمها: قضية الهوية اليهودية (من هو اليهودي؟)، وتطبيع الشخصية اليهودية، وهوية الدولة اليهودية، والأزمة السكانية والاستيطانية، وتحجر الثقافة السياسية الصهيونية، وتصاعد معدلات العولمة والأمركة في المستوطن الصهيوني. وعناصر الأزمة الصهيونية متشابكة، وكل واحدة منها تشكل تحدياً للصهيونية وتقوض شرعيتها أمام يهود العالم ويهود المستوطن الصهيوني والدول الغربية الراعية للمشروع الصهيوني، وقد أدت هذه الأزمة إلى انفراط العقد الاجتماعي الصهيوني أو على الأقل تآكله. هذا كله بالإضافة إلى انصراف يهود العالم عنها، فالصهيونية لم تعد تعني لهم الكثير، فهم يفضلون إما

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٦، ص ٣٥٦.

الاندماج في مجتمعاتهم أو الهجرة إلى الولايات المتحدة[1].

فقد تدهورت صورة المستوطن الصهيوني إعلامياً بعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى (١٩٨٧) إذ إن هذه الدولة الشرسة أصبحت تسبب لهم الحرج الشديد، وهي لم تعد دولة إحلالية يمكن الدفاع عنها باعتبارها دولة يهودية خالصة، فقد أصبحت دولة استيطانية تستند إلى التفرقة اللونية والفصل العنصري (الأبارتاهيد)، ونتيجة لهذا أصبحت المادة البشرية المستهدفة ترفض الهجرة، الأمر الذي يسبب مشكلة سكانية استيطانية للمستوطن الصهيوني.

ويلاحظ المسيري أنه على المستوى الأيديولوجي، وفي عصر نهاية الأيديولوجيا وما بعد الحداثة، أن كل النظريات تتقلص ويختفي المركز، والشيء نفسه يسري على الصهيونية إذ إن إيمان يهود العالم بها قد تقلص تماماً، ولذا فإن من يهاجر إلى إسرائيل إنما يقع ذلك لأسباب نفعية مادية مباشرة. وفي داخل إسرائيل تظهر أجيال جديدة تنظر إلى الصهيونية بكثير من السخرية، وعلى المستوى التنظيمي تفقد المنظمة اليهودية العالمية كثيراً من حيويتها وتصبح أداة في يد الدولة الصهيونية وتقابل اجتماعاتها بالازدراء من قبل يهود العالم والمستوطنين في فلسطين.

ولم تغير اتفاقية أوسلو من الأمر كثيراً، بل لعلها تسرع بتفاقم أزمة الصهيونية باعتبار أن الدولة ستصبح أكثر ثباتاً واستقراراً، وستتحدد هويتها كدولة لها مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية المتشعبة، التي ليس لها بالضرورة علاقة كبيرة بأعضاء الجماعات اليهودية في العالم.

كما ازداد عدم تجانس الإسرائيليين وتفاقمت عوامل التفرقة داخل التجمع الصهيوني، وتتبين أهم معالم الأزمة في المجتمع الإسرائيلي، في: الصراع الديني

---

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٧٧.

العلماني، والصراع الإثني (سفارد[١] -أشكناز[٢] - جماعات أخرى مثل بني إسرائيل من الهند[٣] - القرائي[٤] - المهاجرين السوفيات المتمسكين بإثنيتهم الروسية[٥] - الفلاشاه[٦]

(١) سفارد، مصطلح مأخوذ من الأصل العبري (سفارديم)، استخدم ابتداء من القرن الثامن الميلادي للإشارة إلى يهود إسبانيا، ويستخدم حالياً للإشارة إلى اليهود الذين عاشوا فيها وفي البرتغال ثم انتشروا بعد طردهم منها في بلدان العالم الإسلامي، حتى أصبح يعني اليهود الشرقيين أو يهود العالم الإسلامي تمييزاً لهم عن اليهود الأشكناز (الغربيين). انظر: المسيري، عبد الوهاب. **الموسوعة المختصرة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط٦. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ج١، ص ٨٢.

(٢) أشكناز، تختلف المصادر الغربية والتاريخية واللغوية في تحديد أصل كلمة الأشكناز ومعناها، إلا أنها تعني في الاستخدام الحالي اليهود الغربيين؛ وخاصة ذوي الأصول الفرنسية والألمانية والبولندية. انظر: المصدر نفسه، ص ٨٣-٨٤.

(٣) بنو إسرائيل من الهند، هم مجموعة من اليهود القاطنين حول بومباي، وهم لا يعرفون التلمود ويشتغلون بالتجارة. وقد هاجر بضعة آلاف منهم إلى إسرائيل حيث عانوا من التفرقة العنصرية وغادروها ثانية إلى الهند إلا قليلاً منهم. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية: رؤية نقدية**.ط١.القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام،١٩٧٥م، ص ١٠٧-١٠٨.

(٤) القراءون، طائفة يهودية أسسها عنان بن داود في العراق في أواخر القرن الثامن، ويتلخص مذهب القرائين في جعلهم النص المقدس المكتوب، أي العهد القديم، هو المرجع الأول والأخير والمنبع لكل عقيدة أو قانون. وكانت التوراة وما زالت تسمى بالمقرا أي المقرؤة، من هنا جاءت تسميتهم بالقرائين. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

(٥) المهاجرون السوفيات المتمسكون بإثنيتهم الروسية، مصطلح يشير إلى اليهود السوفيات الذين هاجروا من الاتحاد السوفياتي السابق، ويشكلون كتلة قوية مستقلة بتقاليدها ولها حضورها وتميزها الخاص داخل =الكيان الصهيوني كإثنية مستقلة. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٧، ص ١٠٨-١٠٩.

(٦) الفلاشاه، مصطلح يعني الغرباء أو غريبي الأطوار. وهم جماعة إثنية إفريقية من أثيوبيا تؤمن بشكل من أشكال اليهودية، رفضت إسرائيل هجرتهم إليها في بداية احتلالها لفلسطين، ثم عادت فقبلت هجرتهم. انظر: المسيري، عبد الوهاب. **الموسوعة المختصرة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط٦. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ج١، ص٩٢-٩٣.

- الفلاشاه موراه[1]) والأزمة الاستيطانية والديموجرافية (تزايد عدد العرب وثبات عدد الإسرائيليين أو تزايدهم بنسبة أقل - إحجام يهود العالم عن الهجرة) وأمركة المجتمع الإسرائيلي (تزايد التوجه نحو اللذة - تصاعد السعار الاستهلاكي - تراجع النزعة التقشفية والقتالية)[2].

كما يستمر الفلسطينيون العرب في المقاومة، ويرفضون الاختفاء، وتندلع الانتفاضة، في حين تطور إسرائيل قوانين عنصرية ومفاهيم أمنية ومؤسسات قمعية، هي في جوهرها عدوان على الفلسطينيين[3]، كل ذلك يجعل إسرائيل الصهيونية تعيش أزمة حقيقية تتفاقم يوماً بعد الآخر، وتنذر بنهايتها المحتومة.

ثامناً: رؤية جديدة لنهاية إسرائيل

لم يكن المسيري واهماً أو حالماً عندما تحدث عن نهاية إسرائيل وحتمية سقوط الوهم الصهيوني الإمبريالي الحلولي، فقد درس الصهيونية معرفياً بمنهج بلوره على مدى أكثر من ربع قرن واختبره جيداً من خلال قراءة للتاريخ العربي والغربي والصراع بينهما، وقراءة وتحليل الصهيونية كجزء لا يتجزأ منه، وأدرك جيداً الأوهام التي بنيت عليها الصهيونية، كما أدرك السقطات التي وقع فيها الخطاب العربي حولها بمختلف تنويعاته.

ليس ذلك وحسب، لكن المسيري من خلال متابعته شبه اليومية للكيان الإسرائيلي، وللإمبريالية الغربية في تحولاتها المختلفة عبر القرن الماضي حتى بداية العقد الأول من

---

(١) الفلاشاه موراه، جماعة قبلية أثيوبية تعني المنفيين أو الغرباء، تنصروا على يد المبشرين المسيحيين، وحاولوا الهجرة إلى إسرائيل لكنها رفضتهم. انظر: المصدر نفسه، ص ٩٣.

(٢) يظهر اليوم، تفاقم الأزمة الصهيونية داخل اليهود أنفسهم، وحتى في أمريكا. وفي دراسة إحصائية ظهرت سنة ٢٠١٢ في الكتاب السنوي لـ«يهود أمريكا» جاء أن أكثر من ٥٠٪ من يهودها لا ينتمون إلى أي منظمات يهودية، وأن أكثر من ٧٠٪ ممن هم دون الثلاثين من أعمارهم ليس لديهم أي توجهات أو علاقات تنظيمية يهودية. راجع في ذلك **صحيفة القدس العربي**، على الرابط التالي:
http://www.alquds.co.uk/?p=910582

(٣) المسيري، عبد الوهاب. **تاريخ الفكر الصهيوني**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠م، ص ٥٢-٥٣.

القرن الحالي عندما غادرنا إلى لقاء ربه، أدرك من هذا كله أن نهاية إسرائيل أمر طبيعي ومتوقع في ضوء تناقضاتها الداخلية، وأيضاً نتيجة تغيرات وتحولات القوة التي تؤثر حتماً في ميزان القوى العالمية، وكذلك تحولات الشعوب العربية وصمودها، وفي القلب منها الشعب الفلسطيني. ولذلك، لم يكن لهذا التوقع علاقة بالتشاؤم أو التفاؤل، لكنه كان نتاج قراءة معطيات وحقائق، استقاها من واقع هذا الكيان ذاته وواقع العرب والعالم من حولنا.

ويمكن بيان رؤية المسيري الجديدة لنهاية إسرائيل من خلال النقاط التالية:

ا- نهاية إسرائيل في الوجدان الصهيوني

يذكرنا المسيري أن هناك حقيقة تاهت عن الكثيرين في العالم العربي، وهي أن موضوع نهاية إسرائيل متجذر في الوجدان الصهيوني؛ فحتى قبل إنشاء الدولة أدرك كثير من الصهاينة أن المشروع الصهيوني مشروع مستحيل وأن الحلم الصهيوني سيتحول إلى كابوس[١]. فقد أدرك ذلك إسحق رابين الجنرال المنتصر، في منتصف يونيو ١٩٦٧ أي بعد انتهاء حرب يونيو بعدة أيام، حتمية الهوة والنهاية[٢]. وجددت انتفاضة الأقصى، موضوع نهاية إسرائيل في النقاشات الإسرائيلية والأمريكية، و(مستقبل إسرائيل وكيف سيتسنى لها البقاء؟). و(هل ستبقى الدولة اليهودية على قيد الحياة؟ وبأي ثمن؟ وبأية هوية؟)[٣].

كما أن هناك العديد من المؤلفات والأعمال الفنية والأدبية، التي تصدر داخل

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. «**نهاية إسرائيل**»، مجلة **منبر الشرق**، العدد٢٠ صفر ١٤٢٨ه-مارس ٢٠٠٧م، القاهرة، المركز العربي للدراسات، ص٧.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر**.ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص٤٨٢.

(٣) انظر، **صحيفة الاتحاد الإماراتية**، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: http:// www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=1647

إسرائيل تحذر من نهاية إسرائيل، سواء من خلال منظمات مدنية أو فناني السينما[١]. كما أن الانسحاب الصهيوني من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م ثم انتفاضة الأقصى الثانية، قد تركا جرحاً غائراً في الوجدان الصهيوني/ الإسرائيلي، وكل هذه الأمور مجتمعة تؤكد أن نهاية إسرائيل جزء من شعور أعضاء وقيادات هذا الكيان المحتل[٢].

ب- نفي التصورات الخاطئة عن نهاية إسرائيل

لكن المسيري على الرغم من ترسخ فكرة النهاية لدى أعضاء الكيان الصهيوني وملازمتها لهم في كل مراحل نموه، يرى أن تلك النهاية المحتومة ليست قريبة أو سهلة المنال، ويرفض ما يتصوره البعض من أن أزمة التجمع الصهيوني في تنوعها واحتدامها وتصاعدها ستؤدي إلى انهياره من الداخل، بل إن بعضهم يتصورون أحياناً، أن دراسة تناقضات المجتمع الصهيوني ورصد مشكلاته وهزائمه تعني تبني والتبشير بزواله، ويرى أن كل هذه الرؤى أوهام أبعد ما يكون عن الحقيقة.

فالمجتمع الصهيوني لن ينهار من الداخل؛ لأن مقومات حياته ليست من داخله إنما من خارجه، إذ يوجد عنصران يضمنان استمراره، رغم كل ما يعتمل داخله من تناقضات، وهما: الدعم الأمريكي، والغياب العربي. ولذلك، فهو يرى أن ما سيؤدي إلى انهيار الكيان الصهيوني العنصري ليست تناقضاته الداخلية، **إنما الاجتهاد والجهاد العربي، فهما وحدهما الكفيلان بذلك. لكن هذا لا يعني تجاهل هذه التناقضات فمن الضروري فهمها وتوظيفها في صراعنا ضده**[٣].

---

(١) ظهر مؤخراً، كتاب توثيقي لمنظمة إسرائيلية بعنوان (كسر الصمت)، وفيلم عنوانه (٢٠٤٨)، يعلنان زوال هذا الكيان المسمى بـ (إسرائيل). فإسرائيل ستأكل نفسها، وستصبح مجرد عاديات أثرية في متجر رجل فلسطيني يحكي عن تاريخ قديم لم يعرفه أحد، وقد عاد الفلسطينيون إلى أراضيهم وإقامة دولتهم، حسب دورة التاريخ وحتميته. راجع في ذلك **صحيفة القدس العربي**، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: http://www.alquds.co.uk/?p=947068

(٢)المسيري، عبد الوهاب. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى الانتفاضة الفلسطينية**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م، ص٥.

(٣) المسيري، عبد الوهاب. **من هو اليهودي؟ ومن هم اليهود؟** ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨م، ص١٤.

ج- ماذا تعني نهاية إسرائيل؟

رأى المسيري أن نهاية إسرائيل لا تعني القضاء على الإسرائيليين، وإنما تعني إزالة الإطار العنصري الصهيوني الذي تدور داخله الدولة الصهيونية؛ فنهاية إسرائيل تعني من منظور المسيري نهاية العنصرية الصهيونية وعودة الفلسطينيين إلى ديارهم وتحول المستوطنين الصهاينة إلى مواطنين في دولة متعددة الإثنيات والعقائد[١]. إن نهاية إسرائيل تعني أن الحلم الصهيوني قد تم تقويضه وإلى الأبد، وانتهى الوهم بأنه يمكن للمستوطنين الصهاينة التعايش مع العرب حسب شروطهم العنصرية[٢].

د- عشر علامات تؤذن بنهاية إسرائيل

١- تآكل المنظومة المجتمعية للدولة العبرية

رأى المسيري أن تآكل المنظومة المجتمعية لإسرائيل هو أحد أهم أوجه انهيار إسرائيل، وذلك بعدما فشل الدمج الذي حاوله ديفيد بن جوريون مؤسس الدولة العبرية لجعل المجتمع الإسرائيلي بأكمله في منظومة واحدة موحدة القومية بعيداً عن الهويات المتعددة التي جاء بها اليهود من مختلف بلدان العالم، فهذا المفهوم فشل في إيجاد هوية قومية موحدة لليهود القادمين إلى إسرائيل. كما أن هناك مشكلة دمج (عرب ٤٨) والأقليات داخل المجتمع الإسرائيلي، التي ما زالت تمثل عائقاً أمام نجاح آتون الصهر المزعوم. هذا بالإضافة إلى مجموعة من الاستقطابات والصراعات الفكرية والعرقية التي وقع فيها المجتمع الإسرائيلي وتصعب من تلاحم منظومته المجتمعة[٣].

---

(١) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١.بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٤٩.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى الانتفاضة الفلسطينية**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ١٧٧-١٧٩.

(٣) راجع **موقع إسلام أون لاين**، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamonline.net/?p=6343

٢- الفشل في تغيير السياسات الحاكمة

ورأى المسيري أن الفشل في تغيير السياسات الحاكمة داخل إسرائيل قد أدى إلى تزايد حالة القلق داخلها من قبل المفكرين والمثقفين، والذي وصل إلى درجة الهاجس من حدوث انهيار الداخل الحزبي، وظهور تمرد عام في إسرائيل أو حتى شيوع حالة من التذمر في مؤسسات الجيش والاستخبارات على غرار ما جرى في الستينيات بين صفوف الموساد في ظل تعثر خطوات تطوير النظام السياسي القائم[١].

٣- زيادة عدد النازحين لخارج إسرائيل

ويعتقد المسيري أن النزوح من إسرائيل هو دلالة قوية على نهاية إسرائيل الصهيونية؛ فالسجلات الإسرائيلية تؤكد نزوح مليون إسرائيلي لخارج إسرائيل من إجمالي ٦ ملايين قدموا إليها. كما شهد عام ٢٠٠٧م وحده خروج أكثر من ١٨ ألف إسرائيلي في حين تدنت مستويات الهجرة لإسرائيل إلى أقل معدلاتها منذ ٢٠ عاماً[٢].

---

(١) المصدر نفسه، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamon-line.net/?p=6343

(٢) واليوم، بعد أن اختلقت الصهيونية بدعة «الشعب الصهيوني» في نهايات القرن التاسع عشر، دعت لجنة حكومية رسمية إسرائيلية مؤخراً إلى اختلاق يهود جدد من خلال تهويد ملايين ممن تعتبرهم «مقربين» لليهودية، أو للحركة الصهيونية. وهو ما يعكس حالة القلق الصهيوني المتعاظم من المسألة الديمغرافية الذي تزامن مع صدور تقرير يؤكد تساوي عدد الفلسطينيين واليهود في فلسطين التاريخية. وتدعي تلك اللجنة أن في العالم أكثر من ٦٠ مليون شخص، منهم من له أصول يهودية، ولكنهم حاليًّا ليسوا يهودًا أو أن المؤسسة الدينية لا تعترف بيهوديتهم. راجع في ذلك موقع **صحيفة الشرق الأوسط**، تاريخ الدخول (٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي =
https://aawsat.com/home/article/1220551/%D9%88%D8%B2%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%A8%D8%AA%D9%83%D8%B1-%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AB%D9%86%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%B9%D8%AF%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84

٤- عدم اليقين من المستقبل

ويرجع المسيري السبب وراء النزوح من إسرائيل إلى حالة عدم اليقين من مستقبلها، فالمجتمع الإسرائيلي مصطنع، وبالتالي سيظل شعوره بعدم الانتماء إلى المنطقة قائم. ولفت الأنظار إلى أن من ضمن ما يؤكد ذلك هو قول الرئيس الإسرائيلي (السابق) شيمون بريز عندما سأله أحد الصحفيين هل ستبقى إسرائيل ٦٠ عاماً أخرى؟ فرد عليه: اسألني هل ستبقي ١٠ سنوات قادمة؟[١]

٥- انهيار نظرية الإجماع الوطني

يعتبر المسيري أن انهيار (نظرية الإجماع الوطني الإسرائيلي)، بسبب اتساع الهوة القائمة بين العلمانيين والمتدينين، والتي أدت إلى حالة من العداء المستمر بين الأحزاب الدينية الشرقية والغربية والوسطية، سبب مهم لنهاية إسرائيل؛ فإسرائيل، تفتقد إلى وحدة التجانس بين اليهود: الأشكناز (الغربيين) والسفارديم (الشرقيين) والفالاشا (السود)، وهناك صراعات حقيقية وتناقضات مخفيّة بينهم. وإسرائيل، ورغم مرور سبعة عقود على إنشائها تفتقد إلى تعريف موحّد لـمن هو اليهودي، كما أن الهجرة العكسية من إسرائيل في ازدياد مستمر مقارنةً مع معدلات الهجرة إليها[٢].

٦- فشل تحديد ماهية الدولة اليهودية

ويرى المسيري أن إسرائيل فشلت حتى الآن في تحديد ماهية الدولة اليهودية، مشيراً إلى أن الحاخامات اليهود يؤكدون أن الإعلان عن الدولة اليهودية هو علامة انهيارها وفقاً لمعتقدات الديانة اليهودية[٣].

---

(١) راجع **موقع إسلام أونلاين**، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamonline.net/?p=6343

(٢) راجع **موقع إسلام أونلاين**، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamonline.net/?p=6343

(٣) المصدر نفسه، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamonline.net/?p=6343

٧- العزوف عن الحياة العسكرية

وينظر المسيري إلى عزوف الأجيال الجديدة من الشباب الصهاينة عن الحياة العسكرية كأحد الأسباب القوية لنهاية إسرائيل الصهيونية، حيث تؤكد وسائل الإعلام والكتابات الإسرائيلية عزوف الشباب عن المشاركة في الحياة العسكرية، ورؤية شباب الدولة ورجالاتها عدم وجود مبرر لاستمرار الاحتلال لأراضي الغير؛ فالشباب الإسرائيلي، بات يتساءل: (هل هذه الحروب التي تخوضها الدولة خيار أم احتلال؟)[١]

٨- درس الفرنجة يؤدي لنهاية الدولة الصهيونية

يؤكد المسيري في دراسته لحروب الفرنجة على الشرق العربي المسلم، أنه رغم أن تلك الحروب ظاهرة مرتبطة بالتشكيل الحضاري الغربي في العصر الوسيط، إلا أنها قد أسهمت وبعمق في صياغة الإدراك الغربي لفلسطين والعرب. وهو يلاحظ عمق التشابه بين المشروع الفرنجي والمشروع الصهيوني الإسرائيلي. فكلاهما جزء من المواجهة المستمرة بين التشكيلين الحضاريين السائدين في الغرب والشرق العربي. ونقطة التشابه الأساسية بينهما ذات طابع جغرافي سياسي، ففلسطين هي النقطة المستهدفة في كل من المشروعين الفرنجي والصهيوني.

وكلا المشروعين الفرنجي والصهيوني اكتشف أنه لحسم الصراع لصالحه، فلا بد من ضرب مصر أو على الأقل تحييدها، وكذلك فإن الغزوتين الفرنجية والصهيونية سلكتا الطريق البحري نفسه واحتلتا أجزاء من الشريط البحري نفسه. أما من الناحية التاريخية، فيمكن القول بأن ثمة تشابهاً بين وضع العالمين العربي والإسلامي في القرن الحادي عشر ووضعهما في القرن التاسع عشر، فقد كانا في حالة انقسام وتجزئة. كما أن الغزوتين الفرنجية والصهيونية، تهدفان إلى حل بعض مشكلات المجتمع الغربي وتخفيف حدة تناقضاته.

---

(١) المصدر نفسه، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamon-line.net/?p=6343

كما أن المشروعين، هما مشروعان استعماريان من النوع الاستيطاني الإحلالي، ومن المعروف أن الكيانات الاستيطانية لا تفقد صلتها قط بالوطن الأم تعتمد عليه اعتماداً كاملاً؛ لأنها بسبب تناقضها الجوهري مع البيئة المحلية التي تلفظها، وتستمد مقومات الحياة من دعم عسكري ومالي وهوية ثقافية ومادة بشرية من وطنها الأصلي. وهذه سمة أساسية في الكيانين الفرنجي والصهيوني، مع تنويعات فرعية تنصرف إلى التفاصيل لا الجوهر. فقد جاءت المادة البشرية، لكلا المشروعين من العالم الغربي. ولكنهما مع هذا لم يحققا التجانس العرقي المطلوب لتحقيق شيء من التوازن داخل التجمع الاستيطاني، فتولدت درجة عالية من التوتر.

ولا تنحصر نقاط التشابه بين المشروعين الفرنجي والصهيوني في الظروف الاجتماعية والجغرافية المحيطة بكل منهما، ولا في بنية الكيانين فقط، وإنما تمتد نقاط التشابه هذه لتضم الديباجات والقصد. فقد قدمت تبريرات للمشروعين وتم الدفاع عنهما، عن طريق ديباجات دينية تستخدم الرموز الدينية وتوظفها في عملية التعبئة العسكرية، والرموز الدينية المستخدمة، هي في واقع الأمر رموز عرقية أو إثنية أو قومية رغم طلائها الديني اللامع[1]؛ ليخلص من تلك المقارنة، أن الكيان الصهيوني يحمل بذور فنائه، كما حمله شقيقه الفرنجي المحتل من قبل.

ومِن ثَمَّ فإن هاجس النهاية يطارد المستوطنين الصهاينة (الإسرائيليين)، لأنهم يدركون أن ثمة قانوناً يسري على كل الجيوب الاستيطانية، وهو أن الجيوب التي أبادت السكان الأصليين[2] (مثل أمريكا الشمالية وأستراليا) كُتب لها البقاء، أما تلك التي أخفقت في إبادة السكان الأصليين (مثل ممالك الفرنجة التي يقال لها الصليبية والجزائر وجنوب إفريقيا) فكان مصيرها الزوال. ويدرك المستوطنون الصهاينة جيداً،

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٦، ص١٣١-١٣٤.

(٢) يقصد الهنود الحمر، الذين أبادهم المستعمرون الغربيون.

أن جيبهم الاستيطاني ينتمي لهذا النمط الثاني، وأنه لا يشكل أي استثناء لهذا القانون. وهم يدركون أنهم يعيشون في الأرض نفسها التي أقيمت فيها ممالك الفرنجة وتحيط بهم خرائب قلاع الفرنجة، التي تذكرهم بهذه التجربة الاستيطانية التي أخفقت وزالت.

ومما يعمق من هاجس النهاية، أن الوجدان الغربي والصهيوني يوحد من البداية بين المشروع الصليبي والمشروع الصهيوني ويقرن بينهما؛ ويعرف الإسرائيليون مصير ممالك الفرنجة، كما يعرفون أن الجيوب الاستيطانية الإحلالية التي قدر لها البقاء (مثل أمريكا الشمالية وأستراليا) نجحت لأنها أبادت السكان الأصليين. أما تلك التي لم تنجح في ذلك (مثل الجزائر وأنجولا وجنوب إفريقيا)، فقد تم تصفيتها. وهو يؤكد أنه لا يوجد أي سبب لأن يمثل الجيب الاستيطاني الصهيوني استثناء لهذه القاعدة التاريخية العامة، وقد رسخت انتفاضة الأقصى هذا الإدراك[1].

٩- تحول إسرائيل إلى عبء على الاستراتيجية الأمريكية

آمن المسيري عن علم ومعرفة وبحث وواقع أن الدولة الصهيونية مآلها إلى الزوال؛ لأنها جيب استيطاني إحلالي لا يحتوي على أي من مقومات الحياة داخله، ولا يمكنه الاستمرار دون الدعم الخارجي، ولا سيما أن السكان الأصليين؛ أي الفلسطينيين، يزدادون كماً وكيفاً ووعياً، وهم أصحاب تاريخ وتراث وليسوا مجرد قبائل متناثرة، ويساندهم بقية الجماهير العربية وتتعاطف معهم القوى المناهضة للعولمة والاستعمار كلها[2].

وأن المجتمع الإسرائيلي مجتمع استيطاني يدين بالولاء الكامل للولايات المتحدة الأمريكية، ويعاني من تبعية اقتصادية وعسكرية مذلة لها، فهو يدين لها ببقائه وبمستواه المعيشي المتفوق، كما أن هناك اتجاهًا حادًّا نحو الأمركة يكتسح في طريقه

(١) المسيري، عبد الوهاب. **نهاية إسرائيل**. ط١. القاهرة: دار المعارف،٢٠٠٢م، ص٧٣.

(٢) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ٤٩.

كل الأشكال الإثنية الخاصة التي أحضرها المستوطنون معهم من أوطانهم الأصلية. ومما يعمق من هذا الاتجاه أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع علماني تماماً، وملتزم بقيم المنفعة واللذة والإشباع والنسبية الأخلاقية والاستهلاكية، وهذا يتعارض مع محاولة التراكم الحضاري، ومع ظهور النظام العالمي الجديد والاستهلاكية العالمية، فإنه من المتوقع أن تزداد الأمور سوءاً[١].

وإسرائيل، وإن كانت قائمة على الدعم الخارجي؛ وخاصة الدعم الأمريكي، فإن البعض يتحدث الآن عن أن إسرائيل بدأت تمثل عبئاً على الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة. فالطبيعة الوظيفية لإسرائيل تعني أن (القوى الاستعمارية اصطنعتها وأنشأتها للقيام بوظائف ومهام تترفع عن القيام بها مباشرة)، فهي مشروع استعماري لا علاقة له باليهودية، وإذا انتهى هذا الهدف انتهت إسرائيل[٢].

١٠- عدم القضاء على السكان الأصليين لفلسطين واستمرار الحراك العسكري الفلسطيني

ويرى المسيري أن المسألة الفلسطينية من أهم التحديات التي تواجهها الصهيونية وأهم أسباب أزمتها[٣]، وأن فشل الإسرائيليين في القضاء على السكان الفلسطينيين الأصليين، وميل الوضع الديموغرافي في صالح الفلسطينيين وليس الإسرائيليين، واستمرار المقاومة الفلسطينية هو جرثومة النهاية للدولة الإسرائيلية[٤]. كما أن استمرار

---

(١)المسيري، عبد الوهاب. **الأكاذيب الصهيونية: من بداية الاستيطان حتى الانتفاضة الفلسطينية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م، ص٢٩.

(٢) راجع **موقع إسلام أونلاين**، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamonline.net/?p=6343

(٣) المسيري، عبد الوهاب. **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي**. ط١.بيروت: دار الفكر،٢٠٠٣م، ص ١٥١.

(٤) راجع **موقع إسلام أونلاين**، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamonline.net/?p=6343

المقاومة الفلسطينية، هو جرثومة النهاية للدولة الإسرائيلية، وهو ما يقوله كثير من قادة إسرائيل الذين يتحدثون عن (عقم الانتصارات)، فعلى الرغم من امتلاك إسرائيل لآلة عسكرية ضخمة حققت من خلالها العديد من الانتصارات، فإن الانتصارات العسكرية التي لا تترجم إلى انتصارات سياسية تصبح عقيمة[١].

فالانتفاضة الفلسطينية بما تحمل من معاني الخصب والاستمرار والتجذر ليست مجرد (ثورة) (بكل ما تحمل من معاني الاحتراق والبدايات الجديدة)؛ فالثورة انقطاع، في حين أن الانتفاضة عودة لما سبق واسترجاع للهوية التي سلبت، حتى تصبح (إسرائيل) مرة أخرى (فلسطين)، كما كانت دائماً عبر التاريخ، وكما ستكون بإذن الله في المستقبل. وإن المناضلين الفلسطينيين في اختيارهم لكلمة (انتفاضة)، وضعوا أيديهم على واحدة من أهم خصائص تحركهم التاريخي المبارك: وهو أنه تحرك يتم داخل إطار الهوية التي تمتد من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل بإذن الله، وهو ما يجعل نهاية إسرائيل محتومة[٢].

يتبين من خلال هذا المبحث أن نموذج المسيري التفسيري قد أثمر رؤية جديدة لليهودية والصهيونية وإسرائيل والإمبريالية الغربية الداعمة لهم، وكشف طبيعة العلاقة النفعية الوظيفية القائمة بينهما، كما أسقط كل الدعاوى الكاذبة عن طبيعة الصراع العربي الإسلامي مع الكيان الصهيوني الغاصب، وأنتج تعريفاً شاملاً للصهيونية دولتها الغاصبة يعريها من أي سند قانوني أو أخلاقي يدعي شرعيتها. كما يتبين أن مفهوم المقاومة عند المسيري يساوي مفهوم الجهاد في سبيل الله في الفقه الإسلامي، والدارس لرؤية المسيري لليهودي ومن منظور إسلامي يجد أنه لا يخرج في تعامله مع الكيان الصهيوني وكيفية التخلص منه من خارج المنظومة الإسلامية، ولكنه يستخدم

---

(١) المصدر نفسه، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: https://archive.islamon-line.net/?p=6343

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **نهاية إسرائيل**. ط١.القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٢م، ص ٨١-٨٢.

أدوات الدرس المعرفي ولغة الخطاب التي يفهمها العالم من حولنا دون أن يتخلى عن ثوابتنا الإسلامية في الجهاد العادل لتحرير فلسطين. كما استطاع نموذجه التفسيري أن يبين أسباب نجاح الصهيونية في احتلال فلسطين وظهورها بمظهر الأمة المضطهدة أمام بقية العالم وأن ذلك لا يعود لقوتها أو أحقيتها وإنما بسبب عنصرية الغرب المنحازة لهم وتوظيفهم أدوات القوة في أيديهم بشكل صحيح وأهم من هذا كله تخاذل العرب والمسلمين في عرض قضيتهم العادلة بشكل صحيح وتهاونهم في استخدام أدواتهم المتاحة لديهم لجهاد الصهاينة وكشف زيوفهم أمام العالمين. كما استطاع من خلال نموذجه هذا أن ينفي التصورات الخاطئة نهاية إسرائيل التي يرتكن إليها البعض في تمنيات واهمة بزوال إسرائيل دون عمل حقيقي لإنجاز ذلك، مؤكداً أن نهاية إسرائيل لن تكون إلا على يد العرب بمعاونة المسلمين وكل صاحب مبدأ إنساني يرفض الظلم من بني آدم وهو جهد يقع كله على عاتق العرب أولاً والمسلمين والعالمين ثانياً. ومن ثم طرح المسيري رؤيته لحل المسألة الفلسطينية كما يبين المبحث التالي.

المبحث الرابع
معالم على طريق حل المسألة الفلسطينية

عبد الوهاب المسيري، إنسان عربي مسلم يؤمن بالحق والعدل ويسعى لتحقيقهما. وانطلاقاً من هذه الشخصية الإنسانية الربانية المؤمنة، ينطلق في رؤيته لحل قضية فلسطين بشكل عادل وواقعي؛ فقد أدرك المسيري بحسه التاريخي وبانتمائه العربي الإسلامي، ومن خلال غوصه في أعماق التاريخ الإمبريالي الغربي، وواقع التاريخ العربي، وحقائق الصراع على احتلال أراضينا ونهب مواردنا، وتدجين إنساننا العربي المسلم لصالح الإمبريالية الغربية، أن فلسطين مستهدفة دائماً من صناع الإمبراطوريات، إذ إنها تعد مفتاحاً أساسياً لآسيا وإفريقية، وتعد معبراً على البحرين الأحمر والأبيض، وتقف على مشارف الطرق البرية التي تؤدي إلى العراق وإيران، وهي أيضاً معبر أساسي لشطري العالم الإسلامي. وأن المشروعين الفرنجي والصهيوني قد جعلا من فلسطين مسرحاً لأطماعهما ونقطة ارتكاز لانطلاقهما باعتبارهما مشروعين استعماريين[1].

كما آمن بأنه يجب أن نفهم خطر الغزو الثقافي الصهيوني للمنطقة العربية، بمعنى أوسع لا يقتصر على خطره على الفكر العربي، أي الثقافة بالمعنى الضيق، بل يشمل أيضاً الخطر الذي يواجهه نمط الحياة والسلوك والقيم والعقائد وطبيعة الولاء، فهو يعني تهديد ثقافة لثقافة أخرى بالاضمحلال والزوال لمجرد أن الأولى يحملها شعب

(١) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١.بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ص ٩٩.

متفوق عسكرياً أو تكنولوجياً دون أن تكون ثقافته بالضرورة أكثر استحقاقاً للبقاء أو أشد جدارة، ومن أشد الأخطار التي يمثلها هذا الغزو، تهديد للمشروع الحضاري العربي المستقل[١].

وقد تنبه المسيري لذلك مبكراً، فحارب كل محاولة لتضخيم حجم الكيان الصهيوني، ففي ٢١ من أكتوبر عام ١٩٧٣م كتب في جريدة الأهرام مقالاً بعنوان (لا نهاية للتاريخ)، أشار فيه إلى أنه بغض النظر عن نتيجة الحرب فإن نظرية الأمن الإسرائيلية المبنية على فكرة الحدود الجغرافية الآمنة والتي تسقط عنصر الزمان قد انتهت؛ لأن العرب أثبتوا مقدرتهم على تطوير أنفسهم بمرور الزمن وحينما حانت اللحظة المواتية، تحركوا وألحقوا الهزيمة بالعدو الذي أدرك بعدها أن الأمن لا يوجد في المكان وحسب وإنما يوجد في الزمان أيضاً، وأنه ليس مسألة خاصة بالعلاقة بالجبال والحواجز المائية والترابية وإنما أمر يتعلق بالعلاقة مع البشر[٢].

وبين أيضاً أن الانتفاضة قد أنجزت شيئاً من هذا القبيل، فمن خلال فعل **المقاومة** اضطر الإسرائيليون إلى الاعتراف بالوجود الفلسطيني، وعلى الرغم من أنه وجود هزيل محاصر من كل مكان ولكنه وجود حقيقي، أي أن الخريطة الإدراكية الصهيونية تم تعديلها بشكل جذري واختفت مقولة (العربي الغائب). كما تكفلت بباقي مقولات الصهيونية الزائفة، حيث تركت جرحاً غائراً في الوجدان الصهيوني أكثر عمقاً وجذرية من أي جرح سابق، فلم يعد بوسع الصهيوني أن يزعم أن العربي شخص متخلف هامشي، أو عدو أزلي لا عقلاني لليهود، فقد رأى بعينيه السكان الأصليين الفلسطينيين وقد هبوا هبة رجل واحد يدافعون عن حقوقهم المشروعة

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٧، ص ٢٥.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص٢٨٢-٢٨٣.

التي لا يمكن التنازل عنها وأرسلوا له حجراً يحمل رسالة لا يمكن أن تتهم بالتخلف أو الهامشية، رسالة تخبره أن وهم السلام المبني على الظلم والبطش قد انتهى، وأنه لا سبيل أمامه إلا السلام المبني على العدل والذي لا ينطلق من الإجماع الصهيوني ونظريات الحقوق اليهودية المطلقة[١].

كما رأى الشعب العربي والشعوب الإسلامية تتحرك تلقائية غير عادية لمساندة الشعب الفلسطيني في كفاحه بشتى السبل (ولا شك أن هذا أرسل رسالة واضحة جلية لصناع القرار في الغرب الذين كانوا قد شطبوا من حساباتهم ما سموه (الشارع العربي) و(الشارع الإسلامي)، أي الرأي العام العربي والرأي العام الإسلامي، ومما لا شك فيه أنهم سيعيدون حساباتهم في ضوء ذلك التحرك[٢].

طرح المسيري من خلال عدة مسارات علمية معرفية وجهادية عملية يمكن بيانها كالتالي:

أولاً: مسار الدرس المعرفي:

١. تجديد الخطاب العربي الإسلامي في تناول القضية

دعا المسيري إلى التخلص من الاختزال الكبير الذي يهيمن على الخطاب الإسلامي المناهض لإسرائيل، والذي يفترض وجود استمرارية بين يهود الماضي والحاضر والمستقبل؛ لأنه جوهر الرؤية الصهيونية ذاتها، ولأن الفكر التآمري قد وضع الصراع العربي الإسرائيلي في إطار اسكاتولوجي، أي رؤية آخر الأيام، بمعنى أنه خرج بالصراع من دائرة التاريخ والزمان باعتبار أن الصراع مستمر حتى يوم القيامة وآخر الأيام.

---

(١) راجع حوار مع المسيري على **موقع أبناء مصر**، (تاريخ الدخول ٢٠١٩/١٠/١م)، على الرابط التالي: http://www.egyptsons.com/misr/archive/index.php/t-4057.html

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **الأكاذيب الصهيونية: من بداية الاستيطان حتى الانتفاضة الفلسطينية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ١٧٧-١٧٩.

ولكن إذا كان الأمر كذلك، فما معنى الانتفاضة؟ وما جدوى المقاومة؟ كما اجتهد في بيان رؤية جديدة لمن هو اليهودي في الإسلام -كما سبق بيانها-، ودعا الفقهاء والعلماء للاشتباك معها وفحص جدواها ومقدرتها التفسيرية والتعبوية[1].

ورفض أيضاً وصم اليهود بنزوعهم الأزلي والحتمي والطبيعي للشر، كما رفض فكرة الهوية اليهودية العالمية رغم وضوح الموقف الإسلامي الرافض منها، ورفض عدم تفرقة كثيرين من المسلمين بين اليهود والصهاينة، وبين اليهودية والصهيونية، وبين يهود الماضي ويهود الحاضر، واعتبارهم أنها عملية أكاديمية تضيع الوقت ولا جدوى من ورائها وأن من الأفضل أن يتم التعامل مع الأمور على إطلاقها، مؤكداً أن هذا الموقف العملي المادي يتنافى مع القيم الأخلاقية المطلقة (المرسلة من الله)؛ فالإنسان المؤمن يرفض التنازل عن قيمه بسبب نفع مادي. ولكن حتى على المستوى العملي نجد أن تبني هذا المنطق خطر لأقصى درجة **للأسباب التالية:**

- افتراض وحدة اليهود سيقلل من مقدرتنا على رصد الظواهر اليهودية والصهيونية، إذ سنكتفي برصد العموميات دون رصد المنحنى الخاص للظواهر، وسنبحث عن الدلائل والقرائن التي تدعم وجهة نظرنا دون النظر إلى خصوصيات الظواهر.

- عادةً ما يذهب دعاة فكرة الهوية اليهودية العالمية إلى أن اليهود مسئولون عن الشرور كافة، الأمر الذي ينسب لهم قوى شيطانية خارقة تولد الرعب في قلب المجاهد حتى قبل دخول الحرب..

- ينسب المؤمنون بالهوية اليهودية العالمية أولوية سببية لليهود ويجعلهم المتحكمين في شئون العالم بأسره، الأمر الذي يقلب الأولويات تماماً؛ وخصوصاً في زمن النظام العالمي الجديد. فالدولة الصهيونية في واقع الأمر، إن هي إلا أداة في يد الاستعمار الأمريكي على وجه الخصوص؛ والغربي على وجه العموم، وهذا هو العدو

---

(١) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص٢٣٠.

الحقيقي الذي يحاول أن يفرض منظومته على العالم فيحوله إلى سوق ومصنع، والدولة الصهيونية هي الوسيلة والجزء وليست الغاية والكل[1]..

- المنطق الذي يرى اليهود باعتبارهم مجموعة بشرية متجانسة وككتل (إثنية أو عرقية) واحدة، يكرس رؤية علمانية تقوض دعائم القيم الأخلاقية وضرورة الحكم الأخلاقي الفردي على الآخر. وفي منطقة مثل منطقتنا العربية الإسلامية، حيث توجد أقليات عديدة (دينية وإثنية ولغوية) عاشت عبر مئات السنين داخل الفسيفساء الإسلامية الثرية، نجد أن مثل هذا المنطق يؤدي إلى تفجرات عرقية وإثنية ودينية، وربما يؤدي إلى تآكل العقد الاجتماعي الإسلامي.[2]

- رؤية اليهود باعتبارهم كلاً لا يتجزأ تصور صهيوني يرى أن من الصعب تفتيتهم، ويرى أن من الصعب على العناصر اليهودية الرافضة للصهيونية (وللحلولية الوثنية) أن تنشط وتظهر وتعبر عن نفسها. ومثل هذا الطرح يتجاهل حقيقة التاريخية وهي أن الصهيونية حركة إلحادية معادية لليهودية وتطرح نفسها بديلاً لها. ولذلك، فإن الطرح المجرد والتعميمي وقبول الأمور على إطلاقها سيجعل الاستفادة من هذه التناقضات الداخلية أمراً صعباً، وسيؤدي إلى القضاء على العناصر الرافضة[3].

- إذا كان الهدف هو شحذ الهمم للجهاد فلا بد أن يتم هذا من منطلقات إسلامية وبديباجات إسلامية؛ إذ إن تقبل أطروحات الآخر وديباجاته (كل اليهود صهاينة - كل اليهود سواء -اليهودي من ولد لأم يهودية)، هو سقوط في منطقه وفقدان للهوية. والإسلام يدعو إلى الجهاد ضد أعدائه، وضد من يسلبون حقوق المسلمين دون السقوط في أي

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ج٤، ص٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٩-٣٠

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠

عنصرية[1]، يقول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾[3].

٢. تجديد الخطاب المعرفي العربي في المسألة اليهودية الصهيونية الإسرائيلية

كما دعا المسيري إلى تجديد الخطاب المعرفي العربي حول اليهود والصهيونية وإسرائيل، مؤكداً أن على الباحث العربي أن يبتعد عن استخدام مصطلحات مثل (الشعب اليهودي) و(القومية اليهودية) أو حتى (الصراع العربي اليهودي)؛ لأنه لا يوجد بين الدين الإسلامي والقومية العربية من ناحية والدين اليهودي من ناحية أخرى أي صراع سياسي مسلح أو غير مسلح، وإنما الصراع عربي إسرائيلي، أي صراع بين العرب والمستوطنين الصهاينة الذين استوطنوا فلسطين عن طريق العنف[4].

ودعا إلى التفكير في طرق تفكيرنا في هذه المسالة بشكل مبتكر، حتى نحسن أداءنا التنظيري والتفسيري الذي يجعلنا ندرك الواقع بشكل أكثر تركيب دون الركون للمقولات الاختزالية العامة الجاهزة، واستخدام النماذج التحليلية باعتبارها طريقة أكثر كفاءة من الطرق الأخرى في عملية رصد واقع وتاريخ اليهود واليهودية والصهيونية وإسرائيل ودراسته، وفي تنظيم المعلومات الخاصة به وتصنيفها وفي كيفية استخلاص النتائج والتعميمات منها.

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠.

(٢) البقرة:١٩٠.

(٣) الحج:٣٩.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ج٦، ص ٢٤.

كما دعا الباحث العربي إلى استخدام مفهوم الجماعات الوظيفية، باعتباره مفهوماً تحليلياً مركباً يبين أهمية الدور الوظيفي للجماعات اليهودية، ويجعلنا ندرك الجماعات اليهودية باعتبارها وظيفة تؤدى، ودوراً يلعب داخل مجتمع الأغلبية، ومن ثم يمكن لنا أن ندرك الاستمرارية بين المفهوم الغربي لليهود باعتبارهم جماعات وظيفية وبين الرؤية الغربية للدولة الصهيونية باعتبارها دولة وظيفية (قاعدة للاستعمار الغربي وحليفاً استراتيجياً له).

كما دعا إلى التمييز بين التاريخ المقدس في العهد القديم والتاريخ الزمني الذي يعيش في إطاره أعضاء الجماعات اليهودية، فلا يوجد تاريخ يهودي عام وعالمي مستقل عن تواريخ البشر، ولا يوجد تاريخ للصهيونية مستقل عن تاريخ الحضارة الغربية الحديثة، ولا تاريخ للصهيونية غير اليهودية منفصل عن تاريخ الصهيونية بين اليهود، ولا تاريخ للصهيونية منفصل عن تاريخ العداء لليهود، ولا تاريخ للفكر اليهودي بمعزل عن تاريخ الفكر الغربي[١].

كما دعا إلى إعادة تأسيس حقل دراسة اليهود واليهودية والصهيونية، انطلاقاً من رؤية عربية إسلامية[٢]، من خلال نموذجه التحليلي الذي نحته في الموسوعة، والذي تتفرع عنه آليات تحليلية تيسر علينا تحليل الظاهرة الصهيونية تفكيكاً وتركيباً، وفهمها دون اختزالها[٣].

كما دعا إلى أن يكون البحث العلمي في مجال الصهيونية معركة ضارية مع العنصرية والاستعمار، باعتبار أن المعركة مع الصهيونية ليس لها علاقة كبيرة بالصراع

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ج١، ص ٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٣) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر**. ط١.القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص ٣١٤.

العربي الإسرائيلي؛ فالعداء للصهيونية ينبع من العداء لكل أيديولوجيات العنف والعنصرية (مثل النازية وأيديولوجية التفرقة اللونية في جنوب إفريقيا)[١].

كما دعا إلى أنسنة اليهود ورؤيتهم باعتبارهم ظاهرة زمنية تاريخية، ومن ثم يمكن التعامل معهم سلماً أو حرباً دون تبرئة ساحتهم والتعاطف معهم، وإلى مراجعة مرجعية حقل الدراسات المعني باليهود واليهودية ومصطلحاته المشبعة بالمفاهيم الأولية (القبلية) لليهودية والصهيونية، والعدد الهائل من المفردات (مثل الشعب والأرض) التي تكتسب دلالات خاصة تخرجها عن معناها المعجمي المألوف[٢].

ثمار هاتين العمليتين التجديديتين المعرفيتين

١. هدم أساطير الصهيونية

ويؤكد المسيري أن تجديد الخطاب العربي والإسلامي في التعامل مع اليهود واليهودية والصهيونية وإسرائيل، سيكون فاتحة خطاب جديد للتعامل مع الكيان الاستيطاني الذي يحتل فلسطين ومن يدعمونه من قوى إمبريالية، **وستكون أول ثمرات ذلك**:

سقوط الوهم المتعلق بأن الصهيونية هي مشروع ناجح تماماً، أسس الدولة وحقق كل ما يصبو إليه من أهداف وغايات، فعلى الرغم من أنه لا يمكن إنكار أن في هذا القول شيئاً من الحقيقة، فانتصارات الدولة الصهيونية العسكرية ووجود أربعة ملايين مستوطن في وسط العالم العربي هو إنجاز استعماري لا ريب فيه، ولكن إلى جانب مواطن القوة توجد مواطن ضعف كثيرة يمكن رؤيتها والعمل على تعميقها.

٢. رفض المؤامرة اليهودية الكبرى

يؤكد المسيري أن تجديد الخطاب المعرفي العربي والإسلامي في القضية الصهيونية، سيؤدي مباشرة بالعرب والمسلمين إلى رفض فكرة المؤامرة اليهودية

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٤١.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج١، مصدر سابق، ص٥١.

الكبرى أو العالمية؛ لأن فكرة المؤامرة أكذوبة تلائم معظم الأطراف المشتركة في الصراع العربي الإسرائيلي، فإسرائيل تستفيد كثيراً من هذا الفكر التآمري؛ لأنه يضفي عليها من القوة ما ليس لها ومن الرهبة ما لا تستحق، وهو في النهاية الأمر يجعلها تكسب معارك لم تدخلها. كما أن الحكومات الأمريكية المختلفة تفسر للزعماء العرب عجزها عن مساعدة الحق العربي بتعاظم النفوذ الصهيوني في الكونجرس. أما الحكومات العربية فإنها تفسر تخاذلها وهزيمتها أمام العدو الصهيوني على أساس الأسطورة المريحة نفسها. وبالتالي، يجد كل أطراف الصراع تفسيراً يبدو معقولاً ومقبولاً لوضعه أمام نفسه وأمام جماهيره[١].

فاليهود ليسوا عباقرة أو شياطين وإنما بشر يمكن الحديث معهم ويمكن إراقة دمهم، وعوامل القوة والضعف والحياة والموت كامنة في هذا الكيان الضخم، ومن الممكن التحدث عن لحظة سقوطه، ومن الممكن أيضاً مناقشة الآليات التي تؤدي إلى ذلك[٢].

ب- الجهاد العملي من خلال:

١. الانتفاضة

رأى المسيري الصهيونية باعتبارها حركة علمانية إمبريالية شاملة، وليست حركة يهودية كما تدعي. ومن هنا، فإن الكفاح العربي الإسلامي ضدها يجب أن يأخذ هذا بعين الاعتبار، وأن نقف ضد هذه الصهيونية باعتبارها معادية للفلسطينيين والعرب

---

(١) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣٦٨-٣٦٩.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص٤٨٥.

وللإنسانية كافة؛ فهي تحول الإنسان إلى مادة وتوظف هذا الإنسان في خدمتها[١]. فالإجماع الصهيوني يهتز في حالة قيام العرب بالمقاومة[٢] والقضاء على الجيب الاستيطاني لا يمكن أن تتم إلا من خلال الجهاد اليومي المستمر ضده. ومن هنا كانت رؤيته للانتفاضة الفلسطينية كنموذج متكامل ورؤية للكون يمكن استخدامها في إدارة المجتمع العربي بطريقة تفجر الإمكانات الثورية والإبداعية لدى الجماهير الفلسطينية العربية والإسلامية[٣]، وليست مجرد حركة عصيان مدني لتحرير فلسطين أو الشعب العربي[٤].

٢. الحوار المسلح

وأكد المسيري أن الصهاينة يلجأون إلى الدعوة والتفاوض وجهاً لوجه، والابتعاد عن عقد التاريخ وحساسيات الهوية من أجل تشويه حقيقة الصراع العربي الإسلامي معها وتزييفه. وشدد على أن مثل هذه الدعوة للحوار دون تحديد المنطلقات والأطر، هي في واقع الأمر دعوة لمحو الذاكرة والتخلي عن القيم والتعري الكامل. وأكد أنه في غياب الندية فإن ما يحسم الحوار هو السلاح؛ فلكي يكون الحوار مثمراً، لا بد أن يبدأ من التاريخ والقيم ومن الواقع المركب الذي نعيشه. وأي حوار مع الآخر الصهيوني لا بد أن نبدأ بتعريف المشكلة لا أن ننساها أو نتناساها. ولا بد أن نتذكر أن هناك كياناً استيطانياً احتلالياً، وكتلة بشرية غازية، وأن ثمة (مسألة فلسطينية) متمثلة في شعب فقد أرضه ولم يفقد ذاكرته، ولذا فهو متمسك بها، يناضل من أجلها.

---

(١) حرفي، سوزان. **حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري: الصهيونية واليهودية**. ط١.بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ج٤، ص ١١٦.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٧١.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. **نهاية إسرائيل**. ط١.القاهرة: دار المعارف،٢٠٠٢م، ص ١٨٢-١٨٣.

أي أن الحوار المطلوب مع الصهاينة ومن يدعمونهم لا بد أن يبدأ بالاعتراف بشذوذ إسرائيل البنيوي، وشرعية المقاومة وفحوى التاريخ وبالوجود الفلسطيني. ولا بد أن يبدأ الحوار من تقرير الإطار القيمي، وأن العدل هو الذي يجب أن يسود وأن العنصرية شيء بغيض، ومن ثم لا بد أن يتوجه الحوار لقضية الظلم الذي حاق بالفلسطينيين والتمييز العنصري الذي يلاحقهم في فلسطين المحتلة.

فالحوار الممكن، هو الحوار المسلح حين يقوم الطرف الذي وقع عليه الظلم **بالمقاومة**، فهو من خلال مقاومته وإلحاق الأذى بالآخر الظالم، يبدأ هذا الآخر في إدراك أن رؤيته للواقع ليست بالضرورة مطلقة، فتنفتح كوة من الرشد الإنساني في سحب الظلم الذي وقع على ضحيته، ومن ثم قد يعدل من موقفه. وهذا يتطلب رصداً ذكياً ومستمراً من جانب الضحية المقاوم، حتى يدرك أن اللحظة قد حانت للدخول في التفاوض مع الآخر الظالم. وهذا لا يعني التوقف عن المقاومة؛ لأنه لو جرى الحوار دون المقاومة المسلحة فإن هذا الآخر، حبيس حواسه ورؤيته الداروينية[1]، قد يرى الرغبة في التفاوض باعتبارها مؤشراً على استعداد الضحية للاستسلام للذبح مرة أخرى[2].

ولهذا دعا إلى تركيز أي حوار على نزع فكرة اليهودية عن الدولة الصهيونية، وتأكيد جوهرها الاستيطاني الإحلالي، فالصهاينة (محتلون) وليسوا (عائدين)، وفلسطين هي وطن الفلسطينيين وليست أرض إسرائيل، ورفض الفلسطينيين لهذا الجيب الاستيطاني

---

(١) **الرؤية الداروينية**، يقصد المسيري بهذا المصطلح، الرؤية الغربية للكون المنطلقة من نظرية دارون عن التطور البشري، التي لا ترى الكون سوى مادة محضة وأنه مرجعية ذاته فلا مركزية لإله ولا لإنسان وإنما سيولة تامة تنفي أي أخلاق أو قيم إلا أخلاق القوة وقيم الظلم، وهي النموذج المعرفي الكامن وراء = معظم الفلسفات العلمانية الشاملة. انظر بتوسع: المسيري، عبد الوهاب. **الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان**. ط١. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م، ص٩٧ وما بعدها.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. ط١. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ج٧، ص ٢٢-٢٣.

وحربهم ضده ليس إرهاباً وإنما مقاومة وجزء من حركة التحرر الوطني[1].

٣. الطريق إلى حل المشكلة: حل الدولة الواحدة

لا يرى المسيري حلاً للمسألة الفلسطينية إلا من خلال إدراك أن الصراع القائم في الشرق الأوسط، ليس نتاج (كره عميق وأزلي) بين العرب واليهود والأغيار، وأنه ليس نتيجة العقد التاريخية والنفسية (كما يدعي الصهاينة)، وإنما هو وضع بنيوي يولد الصراع نشأ عن تطور تاريخي وسياسي وبشري محدد، وطالما ظل هذا الوضع قائماً يظل الصراع قائماً، وأن لا سبيل لإنهاء الصراع إلا من خلال فك بنية الصراع ذاته، ولن يتم ذلك إلا من خلال نزع الصبغة الصهيونية عن الدولة الصهيونية. كما أنه لا يمكن توقع أي سلام في إطار بنية القمع والظلم والعدوان هذه، أي في إطار الصهيونية، في حين يمكن أن نتحرك نحو قدر معقول من السلام من خلال نزع هذه الصبغة الصهيونية (الاستيطانية الإحلالية)، وحل مشكلة المستوطنين الصهاينة حلاً عادلاً داخل الدولة الفلسطينية. ولا يمكن أن يحل هذه المسألة الإسرائيلية -أي مشكلة المستوطنين الصهاينة وأولادهم الذين لا وطن لهم الآن سوى فلسطين المحتلة- إلا العرب.

– دولة واحدة فلسطينية

ويرى المسيري أن فكرة الدولة الديموقراطية الفلسطينية، التي تضمن الحقوق السياسية والثقافية والدينية لأعضاء الأقليات والطوائف الدينية والإثنية وتوفر لهم فرص الحراك الاجتماعي التي يطمح لها كل إنسان، هي في نهاية الأمر الإطار الوحيد القادر على حل المسألة الإسرائيلية، وعلى مساعدة المماليك الاستيطانية في الخروج من المأزق، فهو يكفل للمستوطنين وأبنائهم الحقوق المدنية والسياسية الكاملة، كأفراد أو حتى كجماعة لها طابعها الإثني المستقل الذي يمكنه من التعبير عنه من خلال إطار الدولة المقترحة، وبهذا لا تكون الاستراتيجية العربية التحريرية، في واقع الأمر،

(١) المصدر نفسه، ص٦١٤.

استراتيجية لتحرير (الأرض) أو حتى لتحرير الفلسطينيين وحسب، وإنما تكون أيضاً وفي نهاية الأمر، استراتيجية لتحرير المستوطنين من الدور المملوكي[١] الاستيطاني الذي فرض عليهم، ومن (المصير الصهيوني) ومن الميثاق المقدس الذي يلقي عليهم عبئاً فريداً لم يختاروه، عبئاً يسيل دماءهم ودماء الآخرين[٢].

يتبين من العرض السابق لرؤية المسيري لحل القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين والقدس من الكيان الصهيوني الغاصب، أن الحل الذي يقدمه يمثل رؤية بديلة يمكن تبنيها بعد تطويرها لمجابهة الحل الأمريكي الهادف لوأد قضية فلسطين؛ خاصة أن هذا الحل يستند إلى الشرعية الأخلاقية والقانونية التي يقرها العالم أجمع، في حين أن الحل الأمريكي الصهيوني ينافي الشرعية الدولية القانونية والأخلاقية. كما أنه بالمقارنة مع الحل الذي يطرحه البعض في تيار تحرير فلسطين من النهر إلى البحر[٣]، الذي يرفض

---

(١) الدور المملوكي، يقصد به تلك المجموعات البشرية التي تستجلبها المجتمعات الإنسانية من خارجها؛ في معظم الأحيان، أو تجندها من بين أعضاء المجتمع أنفسهم من بين الأقليات الإثنية أو الدينية ثم يوكل لهم وظائف المرتزقة وقتل أعداء أسيادهم الذين يدفعون أجورهم. انظر بتوسع: المسيري، عبد الوهاب. **الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد**. ط٢. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص ١٤-١٥.

(٢) المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة تاريخ الصهيونية**.ط١. القاهرة: دار الحسام، ١٩٩٦م، ج٣، ص ٩٥-٩٦.

(٣) لبيان وجهة نظر تيار فلسطين من النهر إلى البحر، انظر:
شفيق، منير. "**هزال شعار دولة لكل مواطنيها**"، على موقع فلسطين اليوم، على الرابط التالي (تاريخ الدخول ١٩ من نوفمبر ٢٠١٨)
https://paltoday.ps/ar/post/276166/%D9%87%D8%B2%D8%A7%D9%84-%D8%B4%D8%B9%D8%A7%D8%B1-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B7%D9%86%D9%8A%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%B1-%D8%B4%D9%81%D9%8A%D9%82
وانظر أيضاً مقاله بعنوان: "**الثوابت الفلسطينية واللغط حولها**" على موقع شبكة فلسطين للحوار (تاريخ الدخول ١٩ من نوفمبر ٢٠١٨) على الرابط التالي:
https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=700881

طرح أي حلول لمسألة فلسطين في الفترة الحالية، ويستند لأسباب عديدة لرفض حل الدولة الواحدة، نجد أن رؤية المسيري تتقاطع مع بعض عناصره من ناحية، وتحتاج إلى إجابات لبعض تساؤلاته الحقيقية من ناحية ثانية، ونقاش معمق لنقطة الخلاف الجوهرية بينهما فيما يتعلق بطرح الحل من عدمه من ناحية ثالثة، كما يلي:

فبالنسبة لجوانب الاتفاق، فهي تتمثل فيما يلي

١. أن قضية فلسطين هي قضية كل فلسطين من النهر إلى البحر وتحريرها بالكامل وعودة كل اللاجئين إليها.

٢. في حالة عدم تقبل الحل المتعلق بفلسطين تاريخية، فهما يتفقان معاً في ضرورة خوض معركة الانتفاضة الحالية لدحر الاحتلال وتفكيك المستوطنات من القدس والضفة باعتبارهما هدفين يستطيعان توحيد كل الشعب الفلسطيني وكل الفصائل الفلسطينية وتسمح موازين القوى الراهنة بتحقيقهما، وذلك إذا ما تطوّرت الانتفاضة إلى العصيان الشعبي الشامل وأصرّت على دحر الاحتلال وتفكيك المستوطنات وبلا قيدٍ أو شرط.

٣. يتفق حل المسيري مع حل تيار فلسطين من النهر إلى البحر في ضرورة أن يبقى الكيان الصهيوني ومستوطنوه الاستعماريون الإحلاليون الصهيونيون في حالة عدوان سافر ومرفوض من القانون الدولي والمواثيق الدولية. ويجب أن يبقى كذلك مهما طال الزمن، حتى يتم تفكيك بنيته الصهيونية الإحلالية الاستعمارية.

في حين نجد أن هناك تساؤلات عديدة يطرحها تيار فلسطين من النهر إلى البحر، لا تجيب عنها رؤية المسيري، تتمثل في:

١- لا تقدم هذه الرؤية أي استراتيجية تحقق إقامة (الدولة لمواطنيها)، بعد تفكيك

النظام الكولونيالي الاستيطاني العنصري. وكيفية تفكيك هذا النظام؟ وكيف سيُقنع (يهود إسرائيل) الذي سيكونون مواطنين في الدولة بالتخلي عن عقيدتهم الصهيونية؟ وكيف سيفرض عليهم التفكيك أولاً، ثم كيف سيقتنعون بإعادة البيوت التي يسكنون فيها لأصحابها، وكذلك الأراضي التي يزرعونها؟ كيف سيقنعون قادة الكيان الصهيوني للتفاوض حول كل فلسطين؟

٢. لا يجيب على الإشكالية المتعلقة بمنح تنازل مجاني بالتبرّع سلفاً بمساواة (اليهود المستوطنين الاستعماريين العنصريين) بالمسلمين والمسيحيين العرب الفلسطينيين دون أن تُقابَل من المعني باعتراف أنك مساوٍ له في الحق بفلسطين، فتنقله عملياً من ظالم مغتصب لا حق له في فلسطين إلى صاحب حق، في الوقت الذي يتطاول فيه المستوطنون ويسلبون ما وصلت إليه أيديهم.

٣. إسقاط الهوية العربية والفلسطينية عن الدولة المقترحة.

وعامة، يمكن القول بأن طرح المسيري لحل للقضية كما نفهمه من الموسوعة، يجعلها حية في ساحات السياسة والقانون والثقافة والإعلام، دون الإخلال بحقوقنا كاملة في فلسطين، مع مراعاة متغيرات الواقع في إطار استراتيجية شاملة للجهاد. ويرى الباحث أن رؤية المسيري تعد أقوى حجة من الرأي الداعي لعدم طرح حلول للصراع، لأنها تعني أننا معنيون فعلاً بحل الصراع في إطار عادل لا يضيع حقوقنا، ولا يتجاوز إعلانات حقوق الإنسان التي تحكم علاقات الناس اليوم، ولا يظلم حقوق اليهود الذين يريدون العيش في فلسطين كمواطنين لا كصهاينة مستوطنين إحلاليين. فطرح رؤانا -التي لا تنتقص من حقوقنا- أفضل من امتلاء الفضاء العربي والعالمي برؤى مزيفة لحل الصراع، تأخذ لها مواقع متقدمة في الساحة الدولية، وفي عقول وقلوب وناشئتنا، دون وجود رؤى بديلة تتصدى لها. وإن كانت ثقافة المسيري الغربية لم تمكنه من تأصيل رؤيته الإسلامية المتكاملة القائمة على النص الديني في القرآن المجيد والسنة النبوية المشرفة، حيث إن تلك الرؤية كانت ستعطي حججه قوة ومتانة أكثر في العرض.

خاتمة

طوال ما يقرب من خمسين عاماً تناول المسيري الظاهرة الصهيونية في مراحلها المختلفة، حتى تنبأ بنهاية إسرائيل، حيث طور أفكاره ومفاهيمه المعرفية العملية عن اليهود واليهودية والصهيونية وإسرائيل، بعيداً عن كهنوت اليهود المنهجي ومؤسساتهم الرسمية التي ظلت تنتج فكراً زائفاً وكذلك مؤسسات الغرب الإمبريالي، ومؤسساتنا العربية العلمية والسياسية والدينية، وقدم رؤية جديدة لها من خلال نموذج تفسيري معرفي شامل؛ فقد أسس المسيري لبداية جديدة لحقل دراسات اليهودية والصهيونية، ووضع أسساً راسخة لكيفيات التعامل المختلفة مع الكيان الصهيوني حتى يتم تصفيته تماماً، وتحقيق الدولة الفلسطينية التي تسع جميع مواطنيها على قدم المساواة الحقيقية العادلة.

فمن خلال الاستناد إلى إدراك عربي إسلامي للظواهر اليهودية والصهيونية والإسرائيلية ينطلق من مرجعية عربية إسلامية، تتبنى النموذج المعرفي التحليلي الفضفاض، استطاع المسيري أن ينتج خطاباً عربياً إسلامياً جديداً يسهم في حل المسألة الفلسطينية، كجزء من بناء مشروعنا الحضاري العربي الإسلامي.

وأسهمت دراسته للصهيونية في تبديد كل الأفكار والمعتقدات الغيبية اللاعلمية عن الظاهرة، وكيف نفهمها، ونجعلها في قلب ونسيج الثقافة العامة قبل الخاصة، وأعاد لفلسطين وشعبها مكانتهم، وعودتها لتبوء مكان الصدارة في وعي العرب بعد أن توارت بحجاب التطبيع والسلام الزائف.

كما بينت ضرورة فهم حركة الجماعات اليهودية في العصر الحديث، وسر تركزهم في بقع معينة دون غيرها، وفي تشكيل حضاري دون غيره، خلال مفهوم الجماعة الوظيفية؛ فاليهود هم جماعات يهودية، وما هو غير مشترك بينها أهم بكثير مما هو مشترك، فكل جماعة تستمد خطابها الحضاري من مجتمعها الذي تعيش فيه؛ كما أننا لا يمكن أن نفهم حركة الجماعات اليهودية في العصر الحديث، وسر تركزهم في بقع معينة دون غيرها، وفي تشكيل حضاري دون غيره، إلا من خلال مفهوم الجماعة الوظيفية هذا.

وهو ما يفتح الباب لدراسات حقيقية لطبيعة تعاملنا مع أعضاء الجماعات اليهودية في العالم وعلاقتهم بإسرائيل قبولاً ورفضاً، وهو ما يجب أن يكون في صدارة أولوياتنا، خاصة يهود أمريكا اللاتينية التي تعول عليهم إسرائيل كثيراً، وباقي الجماعات اليهودية التي تحاول إسرائيل في ضوء احتياجها لأعداد جديدة تقابل حالة التراجع السكاني لها وللهجرة العكسية منها وتزايد السكان العرب داخلها للبحث عنهم، بل واختلاقهم وترغيبهم في الهجرة إليها؛ حيث كشف النقاب أخيراً في تل أبيب، عن تقرير جرى إعداده في إحدى الوزارات الإسرائيلية، يبين أن النظام الإسرائيلي يسعى إلى مضاعفة عدد اليهود في العالم خمس مرات، أي من ١٥ مليوناً اليوم إلى ٧٥ مليون نسمة، وذلك عن طريق تهويد كل من توجد له علاقة غير مباشرة باليهودية؛ حيث يسعى لزيادة عدد اليهود بطريقة جديدة، وهي النبش في جميع أنحاء المعمورة عن كل من يعتقد بأن له علاقة باليهودية أو بإسرائيل، سواء من قريب أو من بعيد، وتحويلهم إلى اليهودية بشكل شرعي. ويتم العمل على هذا المشروع حالياً، في دوائر وزارة الشتات اليهودية التي يقودها بنيت أيضاً، ويهدف إلى العمل على عدة أهداف متزامنة، من ضمنها ربط ملايين من البشر بإسرائيل، وتعزيز علاقتهم بها أو باليهودية، أو فحص إمكانية استجلابهم إلى

البلاد وتهويدهم، أو تجنيدهم للوقوف إلى جانب إسرائيل عبر حملات إعلامية وتربوية في أوساطهم [1].

كما أعاد المسيري للعقول حقيقة الصراع مع العدو كما هو صراع مركب وطويل، لكنه ليس مؤامرة عالمية بدأت مع بداية الزمان ستظل حتى نهايته، وإنما هو صراع مع الإمبريالية الغازية الطامعة في ثرواتنا ومقدراتنا، وأن الدولة الصهيونية ما هي إلا قاعدة عسكرية واقتصادية وثقافية وسكانية للاستعمار الغربي، والصراع معها إنما هو جزء من المواجهة العامة مع الحضارة الغربية الغازية. واليوم من يسمع ويشاهد الإنسان العربي الفلسطيني في مسيرات العودة، يوقن أن رؤية المسيري لطبيعة الصراع ووسائله وأدواته تزداد رسوخاً وصحة وقابلية للتطبيق؛ فما زالت **المقاومة** قائمة لم تهن ولم تحزن ولم تجزع ولم تتراجع، على الرغم من حال الهوان العربي وتكالب الإمبريالية الغربية على القضية، وهو المؤشر القوي على قرب عودة الروح للجماهير العربية والإسلامية التي انتفضت لما يحدث في فلسطين والقدس، وهي عملية طويلة ومستمرة تتطلب المثابرة والنفس الطويل والإيمان بحتمية انتصار الشعوب وقضاياها كما أكد المسيري أن هذا هو المصير الوحيد لقضية فلسطين العربية المسلمة.

---

(١) جريدة الشرق الأوسط اللندنية، "**وزارة إسرائيلية تبتكر طريقة استثنائية لزيادة عدد اليهود في إسرائيل**" العدد (١٤٣٦٦) الخميس ١٣ من مارس ٢٠١٨: (تاريخ الزيارة ١٩ من نوفمبر ٢٠١٨) على الرابط التالي:
https://aawsat.com/home/article/1220551/%D9%88%D8%B2%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%A8%D8%AA%D9%83%D8%B1-%D8%B7%D8%B1-%D9%8A%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AB%D9%86%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%B9%D8%AF%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84

إن معالجة المسيري لموضوع اليهود واليهودية والصهيونية قد انتقل به من مستوى السياسي والعاطفي والمباشر إلى المعرفي، ولا يمكن لقارئ للموسوعة إلا أن تتغير رؤيته تماماً لطبيعة اليهود واليهودية والصهيونية، وعلاقتنا كعرب ومسلمين بهم وبالقوى الإمبريالية التي تدعمهم، وطبيعة علاقتنا معهم صراعاً أو سلماً.

وأخيراً، لقد كان اكتمال نموذج المسيري التفسيري لليهود واليهودية والصهيونية، هو فاتحة رؤيته الشاملة للعلمانية والحلولية، وتبلور فكرة النماذج المعرفية وتكامل مشروعه الحضاري للنهوض بأمتنا العربية المسلمة.